أجاثا كريستي

بيت الرّعب

دار النجمة للنشر والتوزيع

بَيْت الرُّعب

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

بَيْت الرُّعب

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الفصل الأول

ما شككت مرة واحدة في أن «سان لو» هو أجمل مصايف إنجلترا وأمتعها، فهو بلا ريب منافس خطير للريفيرا، حتى استحق عن جدارة أن يسمى «ملك المصايف».

وملت إلى صديقي هيركيول بوارو أفضي إليه بخواطري، فعقّب بقوله: أشاطرك هذا الرأي يا عزيزي هيستنغز، بيد أنني أرجو ألا يُنكَب ملك المصايف بجريمة تقضّ مضاجعنا كما حدث في العام الماضي في الريفيرا.

وشردت بي خواطري إلى ما وقع في السنة الماضية وكيف بدت جريمة الريفيرا غامضة لا قبس فيها من النور، ولولا ما طُبع عليها بوارو من سلامة الاستدلال وبراعة التحليل لظلت تلك الجريمة لغزاً يكتنفه الغموض.

كاشفت بوارو بما يدور في نفسي فقال: ولماذا تغمط نفسك حقها يا عزيزي هيستنغز؟ أنسيت أنك قد أسديت إلي عوناً لا أنكره؟ فلولاك أنت لما قدّر لي أن أميط اللثام عن هذه الجريمة. إنني أتكلم بصدق يا صديقي، ففي كثير من الأحيان عندما يتأزم الموقف أجد نفسي بحاجة لأن أستشير غيري. ألا تعلم أنني أستشير أحياناً خادمي جورج وأستنير برأيه؟

إذا كان بوارو قد قصد بهذه الكلمات أن يثني عليّ فما من شك في أن مثل هذا الثناء قد مسّ كرامتي، إذ كيف يقارن رجاحة عقلي بتفاهة عقل خادمه جورج؟ لكنني كنت أعرف -من تجاربي- أن لصديقي بوارو نوبات يصاب فيها بالغرور والتفاخر.

كنا ونحن نتبادل هذا الحديث جالسَين في شرفة فندق «ماجستيك» التي تشرف على حديقة رائعة التنسيق تمتد أرجاؤها الفسيحة حتى تكاد تلامس شاطئ البحر، بمياهه الزرقاء الصافية التي تجري على أديمها القوارب البخارية بمحركاتها التي تهدر بقوة وتحيل المكان إلى دوامة من الضجيج.

وقلت لبوارو: أرجو ألا يقع حادث يفسد عطلتنا.

فقال وهو يهز كتفيه في استخفاف: وحتى لو وقع حادث لما تدخلت، فإن بوارو قد انتهى يا صديقي.

فقلت مستفسراً: بوارو انتهى، ماذا تعني يا صديقي؟

- أعني أن بوارو قد اعتزل العمل ولن يعود إليه مهما حدث.

- ولكن دماء رجل التحري السري تجري في عروقك.

فقال وقد انتابته نوبته المألوفة من الغرور: أعلمُ يا عزيزي هيستنغز أن هيركيول بوارو شرطي سري لا نظير له في العالم وأن الدنيا لن تجود بمثله إلا كل جيل، واعتزالي العمل خسارة لا تعوض، ولكن يجب أن أتقاعد حتى أفسح المجال أمام الشبان الجدد، فإن أحداً منهم لن يستطيع أن يرفع رأسه إذا ظللت في الميدان.

وأمنت على قوله موافقاً، ثم تناولت الصحيفة الملقاة على المقعد بجانبي وأخذت أتصفحها وقلت: إن الصحف خالية من الأنباء المثيرة في هذه الأيام ولا شيء فيها إلا حادث الطيار ستون الذي حاول أن يعبر المحيط بطائرته فانقطعت أنباؤه.

فسألني: ألم تسفر الجهود التي بذلت عن العثور عليه؟

- لقد أخفقت جميعاً ومنيت طائرات الاستطلاع بالفشل.

- لعل طائرته سقطت به في إحدى الجزر التي يسكنها المتوحشون فالتهموه طعاماً شهياً.

فعقبت: أو لعل الحيتان هي التي التهمته.

كان بوارو يفضّ بريده اليومي خلال حديثنا، فدفع إليّ بإحدى الرسائل وهو يقول: اقرأ هذه وحدثني برأيك فيها.

كانت مرسلة إلى بيتنا ثم حولت إلى الفندق. قرأت الخطاب ثم قلت له: إنها من وزير داخلية إنجلترا يرجوك أن توافيه على عجل ليعهد إليك بأمر على غاية من الأهمية. ثم أردفت: متى نعود إلى لندن إذن؟ اليوم.

- لا اليوم ولا غداً.

- إذن متى؟ إن الأمر عاجل فيما يبدو.

- لن نعود أبداً إلى لندن. لقد قلت لك إنني اعتزلت العمل.

فقلت معترضاً: ولكن ألا ترى أنه يلح في الرجاء وأنه قد ساق إليك سطوراً من المديح والثناء؟

عاودت نوبة الغرور صديقي بوارو مجدداً فقال: وهل ثناؤه عليّ يزيد من قدري؟ إن العالم كله يشيد بهيركيول بوارو يا صديقي. ثم أردف: سأبعث إليه برسالة أعتذر فيها عن الحضور. لقد طوى بوارو آخر ملفاته ولن يعود إلى العمل أبداً. ثم خبط المائدة بقبضة يده وقال ضاحكاً: شيء واحد يمكن أن يغريني بالعمل، مثلاً أن تصطدم رصاصة بالجدار فوق رأسي، إذ لا بد في هذه الحالة أن أحاول اكتشاف القاتل، أليس هذا شيئاً طبيعياً وإنسانياً؟

- عسى أن يحدث هذا، فإن الدنيا تخسر كثيراً إذا اعتزل بوارو العمل.

في تلك اللحظة حصل شيء أعجب من الخيال؛ فقد اصطدمت رصاصة فعلاً بالجدار فوق رأس بوارو وسقطت عند قدميه.

* * *

نهض بوارو واقفاً ومال إلى الأرض يلتقط الرصاصة ثم أسرع يهبط الدرجات المؤدية إلى الحديقة، وفي نفس اللحظة بدت أمامنا فتاة في عنفوان الشباب متجهة إلى ناحيتنا. كانت آية في الجمال ذات عينين زرقاوين واسعتين يشع منهما بريق من المرح وشعر أسود مسترسل يحف بوجه نضر يتفجر بالشباب.

وتعثر بوارو في مشيته وسقط على الأرض فخفّت إليه الفتاة تسنده وأسرعت إليها لأعاونها، وأسندناه حتى انتصب واقفاً. قال لها بوارو: شكراً لك يا آنسة، لقد تعثرت قدمي بأحد الحجارة، ولكنه شيء بسيط فيما يبدو ولا يلبث أن يزول.

فقالت الفتاة: أرجو ألا تكون قد أصبت بكسر في القدم؟

– لقد التوى كاحلي، هذا كل ما هنالك. والآن هل لك يا آنسة أن تسنديني حتى أعود إلى مقعدي؟

وتأبط بوارو ذراع الفتاة وذراعي وتوكأ علينا ونحن نرتقي به الدرج حتى أجلسناه على مقعده في الشرفة. وسألته الفتاة باهتمام وهي تتأمله: والآن، كيف حالك؟ هل زال الألم؟

قال: مجرد التواء بسيط لا يلبث أن يشفى. وعاد يشكرها من جديد ثم أكمل: هل لك أن تتناولي معنا كأساً من العصير؟

قالت الفتاة: ولم لا؟ إن العصير ليطيب لي في مثل هذه الساعة. واستوت جالسة على أحد المقاعد وهي تقول: ولكن ألا يحسن بك أن تستشير طبيباً؟

فقال بوارو مجاملاً: إن استمتاعي بجلستك قد بدد الألم، فما حاجتي بعد إلى الطبيب؟

فقالت الفتاة ضاحكة في مرح: أنت بارع في صياغة عبارات المجاملة.

ومضيت إلى الفندق لآمر بالشراب، وحين عدت وجدت بوارو والفتاة منهمكين في الحديث. وقال لي بوارو وأنا أتخذ مقعدي: تصور يا هيستنغز أن هذا البيت الواقع عند نهاية الطريق والذي طالما تحدثنا عنه ملك للآنسة.

فغمغمت قائلاً: حقاً؟ إنها لصدفة عجيبة.

ولكن الغريب أنني وبوارو ما تحدثنا أبداً عن هذا البيت، بل إننا حتى لم نلحظ أن في نهاية الطريق بيتاً! ولكني جاريته

فيما قال، إذ لا بد أن له هدفاً يرمي إليه.

وقالت الفتاة: إنهم يطلقون عليه اسم «بيت الرعب» لأنه عتيق مخرّب وآيل إلى السقوط، فضلاً عن أن موقعه في هذا المكان غير المطروق مما يضفي عليه لمسة من الغرابة والإثارة، ومع ذلك فإنه يروق لي وأنا معجبة به.

فسألها بوارو: لعله آل إليك من أسرة عريقة فتشبثت به كتراث عائلي عريق جدير بأن يصان؟

أطلقت الفتاة ضحكة لطيفة تضج بالمرح وقالت: أسرة عريقة! إنني يا سيدي أنحدر من أسرة متواضعة، أسرة باكلي التي سكنت المكان منذ مئتي أو ثلاثمئة سنة، وقد مات أخي منذ ثلاث سنوات، ولما كنت آخر فرع من الأسرة فقد ورثت عنه بيت الرعب هذا.

- هل تقيمين في البيت وحدك؟

- أنا لا أقيم فيه طوال العام، فمن عادتي أن أرتحل من مكان إلى مكان، على أنني لا ألبث أن أعود إليه لأقضي فيه بعض الوقت، ولكنني إذا عدت صحبني نفر من الأصدقاء يرفهون عني وحدتي، فأنا فتاة مرحة مولعة بالسهرات المبهجة.

قال بوارو معقّباً: آه، الجيل العصري! ولكن ألا تخشين يا آنسة أن تظهر لك أشباح أسلافك إذا ما بت وحدك في البيت؟

ضحكت الفتاة وقالت: أشباح أسلافي؟! إنني لا أؤمن بشيء اسمه الأشباح يا سيدي، ومع ذلك فلا أخفي عليك أنني قد تعرضت للموت ثلاث مرات، ولكنني نجوت بمعجزة.

فبدا الاهتمام في وجه بوارو وقال: تعرضت للموت ثلاث مرات؟! لا شك أنها قصة طريفة ومسلية يسرني أن أستمع إليها.

فهزت الفتاة كتفيها في استخفاف وقالت: إنها مجرد مشاكل عارضة. ثم مالت الفتاة برأسها في حركة عنيفة لتتفادى دبّوراً كاد أن يصطدم بوجهها وصرخت قائلة: يا لهذه الدبابير المزعجة! لابد أن لها عشاً كبيراً في هذا المكان، فمنذ دقائق اصطدم بقبعتي دبور كبير.

فسألها بوارو: هل سبق أن لدغك دبور فبت تخشينها؟

- لا، ولكنني أكره الطريقة التي تصدم بها بالوجوه فجأة دون سابق إنذار. ثم أردفت على الفور: يجب أن أبادر إلى الانصراف، فإن أصدقائي ينتظرونني في الفندق وقد تأخرت عن موعدي.

قال بوارو: ستتناولين في الفندق كوباً من الشوكولاتة اللذيذة طبعاً، فإنكم في إنجلترا تجيدون صنع الشوكولاتة على عكس الشوكولاتة التي تقدمها فنادق بلادي. إن بلادكم يا آنسة تجيد صنع أشياء كثيرة، مثلاً قبعات الفتيات. إن قبعاتكن جميلة أنيقة تتميز بالذوق الرفيع، أما القبعات في بلادي فذات أشكال عجيبة تثير الضحك فضلاً عن ضخامة حجمها.

ردت الفتاة موافقة: إن قبعاتنا في الواقع أصغر حجماً بكثير من مثيلاتها في البلاد الأوروبية.

قال بوارو: لكن عيبها الوحيد أن هبة ريح كفيلة بإزاحتها فتصاب صاحبتها بالصداع.

فقالت الفتاة: ولهذا فأنا أشد قبعتي إلى رأسي بشرائط من المطاط حتى لا تطير من فوق رأسي.

قال بوارو: حقاً؟ إنها لفكرة عملية رائعة.

ونظر إلى قبعتها، فمدت الآنسة باكلي يدها إلى قبعتها وفكت شرائطها وقدمتها إلى بوارو وهي تقول: إنها قبعة بسيطة مصنوعة من الجوخ.

تأمل بوارو القبعة برهة، ثم وبدلاً من أن يعيدها إلى الفتاة تعمد أن يضعها على المقعد بجواره، ومضى يتكلم عن الجيل العصري من الفتيات. وفيما هو منطلق في الكلام بدا أمامنا شبح رجل في الحديقة ينادي: أين أنت يا تاكي، تاكي، أين أنت؟

ردت الآنسة باكلي بملء صوتها: أنا هنا في الشرفة يا جورج. ثم تحولت إلينا في نبرة اعتذار: إنه واحد من أصدقائي جاء يبحث عني.

وأقبل علينا جورج الذي كان يناديها وقال لها: إن فريدي تكاد تموت ظمأ، فهيا بنا فإنهم في انتظارنا.

ونظر إلينا الرجل باستغراب فقالت تاكي (أو الآنسة باكلي): هذا هو صديقي القبطان شالينجر، إنه...

ولشدة دهشتي بادر بوارو يقول: من البحرية الإنجليزية طبعاً؟ آه، لشد ما أنا معجب بالبحرية الإنجليزية. إن البحار الإنجليزي رجل شجاع يجيد فنون البحر.

احمر وجه الكابتن شالينجر إزاء هذا الإطراء، ونهضت تاكي واقفة وهي تقول ضاحكة: هيا بنا يا عزيزي، فإنني لا أريد

أن تموت فريدي ظمأ بسببي. ثم التفتت إلى بوارو وقالت: أرجو أن يتحسن كاحلك ويشفى سريعاً.

ولوحت لنا بيدها تحيينا، وتأبطت ذراع صاحبها جورج وانصرفا وقد نسيت أن تسترد قبعتها الملقاة على المقعد بجانب بوارو، كما أنه لم يحاول أن يعيدها إليها من ناحيته. ثم تحول إليّ وتمتم قائلاً: إذن فهذا واحد من أصدقاء تاكي! ترى ما رأيك فيه يا هيستنغز؟

تريثت برهة مفكراً ثم قلت: شخص لطيف فيما أظن.

- أهذا كل ما لديك عنه يا هيستنغز؟

- وما عساي أقول وأنا لم أرَه إلا لحظة خاطفة.

فسألني بوارو: أتعتقد يا هيستنغز أنه يميل إليها؟

- ومن أين لي أن أعلم؟ ثم أردفت وأنا أمد يدي إلى قبعة الآنسة باكلي الملقاة على المقعد: أنا ذاهب إلى بيتها لأعيد إليها قبعتها.

- ليس الآن يا عزيزي، فيما بعد يا هيستنغز.

وتناول القبعة وراح يقلبها بين يديه برهة ثم قال: نعم يا صديقي، ستعاد إليها القبعة طبعاً، ولكنك لن تذهب وحدك إلى بيت الرعب بل سأصحبك، لأنها فرصة رائعة سأغتنمها لكي أرى مرة أخرى هذه الفتاة.

فقلت لبوارو ضاحكاً: ماذا دهاك يا صديقي؟ أهي رجعة الشباب؟

- ولم لا؟ ألا تراها فاتنة ساحرة؟ ثم دفع إليّ بالقبعة يتساءل: ما رأيك في هذه القبعة؟

- هي غاية في الرقة والأناقة.

- ألست ترى فيها شيئاً مميزاً؟

أدرت القبعة برهة بين أصابعي وأجبت: ليس فيها ما يميزها عن غيرها، فهذا الطراز منتشر هذه الأيام.

- عهدي بك أنك قوي الملاحظة يا هيستنغز، ما الذي دهاك؟

عدت أدير بصري في القبعة فاحصاً ثم قلت: لا شيء فيها، لا شيء أبداً.

- إذن انظر إلى هذا.

ورأيت في رأس القبعة ثقباً صغيرا مستديراً فهتفت: ما هذا؟

فأجاب بوارو في هدوء: مجرد ثقب، ولكنه ليس ثقباً عادياً. إنه من أثر الرصاصة التي أطلقت على الآنسة باكلي.

- رصاصة؟ أية رصاصة؟

فبسط إليّ يده، وكانت على راحته الرصاصة التي التقطها من أرضية الشرفة منذ لحظات وقال: ألم تلاحظ ما عراها من اضطراب حين حام الدبور بالقرب منها؟

- ماذا تعني يا عزيزي؟

- أعني أن الذي اصطدم برأسها وهي تجتاز الحديقة لم يكن دبوراً، وإنما كانت هذه الرصاصة القاتلة.

- يا إلهي! إن ذلك لم يخطر أبداً على ببالي.

- لو أن الرصاصة هبطت سنتيمترين فقط لاستقرت في رأس الآنسة باكلي ولكانت الآن جثة هامدة في الحديقة تحوم فوقها الدبابير.

فتساءلت: والآن ما العمل؟

فأجاب في اقتضاب: سنبادر بزيارة بيت الرعب، وكلما أسرعنا كان أفضل. ألم تقل لنا الآنسة باكلي إنها نجت من الموت ثلاث مرات؟ إن الخطر قريب يا عزيزي، فعلينا أن نعجل بالعمل.

* * *

الفصل الثاني

قلت لبوارو بنبرة تنم عن الشك ونحن نتناول الفطور في صباح اليوم التالي: كيف تنطلق هذه الرصاصة على قيد خطوات منا ثم لا نسمع دويها؟

- أنسيت هدير محركات القوارب التي تجري من حولنا؟ إنه كفيل بأن يغرق في ضجته قنبلة لا مجرد رصاصة فحسب.

- أنت على حق في هذا.

بعد لحظة من الصمت قال بوارو: ها هي الآنسة باكلي تتناول الفطور مع أصحابها، فلنبادر إليها ولنغتنم الفرصة لنزور بيت الرعب.

وفي خطوات خفيفة رشيقة مضى بوارو إلى حيث كانت الآنسة باكلي جالسة فأعاد إليها قبعتها، ثم ارتد إلى مائدته يكمل فطوره وعينه على الآنسة باكلي حتى لا يدع الفرصة السانحة تفلت منه.

وحين فرغنا من طعامنا مضينا مرة أخرى إلى الآنسة باكلي وهي في جمع من أصحابها، فقال لها بوارو: هل تسمحين لي يا آنسة بكلمة على انفراد.

وانتحى بها ركناً قريباً في حين لبثت واقفاً في انتظارهما. تطلع إليّ الكابتن شالينجر برهة ثم قدم إليّ سيجارة وتبادل معي كلمات موجزة عن الجو، ومن جديد لبثت أتململ في مكاني مرتبكاً أترقب عودة بوارو، ورمقتني الفتاة الجالسة بجانب شالينجر بنظرة فاحصة ثم قالت: ألا تتفضل بالجلوس ريثما يعود صاحبك بعد أن يفرغ من حديثه مع تاكي؟

شكرت لها هذه اللفتة الرقيقة واستويت جالساً. وعادت الفتاة تتفحصني من جديد بنظرتها فقلت: لقد تعثرت قدم صديقي ليلة أمس، وكانت الآنسة باكلي من الرقة بحيث بادرت إلى نجدته.

فردت الفتاة ذات العيون المتفحصة بقولها: لقد حدثتنا تاكي عن هذا. ثم أردفت: أرجو ألا يكون قد أصيب بكسر؟

وتضرج وجهي احمراراً إذ كنت أعلم أن صديقي إنما تعثر في مشيته عمداً بوسيلة حاذقة منه للتعرف بالآنسة باكلي فقلت: مجرد التواء بسيط كاد أن يزول.

- إن تاكي واسعة الخيال مولعة بالكذب، ولذلك لم أصدق حكايتها إلا بعد أن رأيتكما.

وبانت الدهشة في عيني، فتابعت الفتاة تقول: إن تاكي أعز صديقة لي، ولكن هذا لا دون أن أصارحك برأيي فيها. نعم، إنها ذات خيال جامح، وكم يسعدها أن تلفق الحكايات الكاذبة. إنها من الطراز الذي يتوهم أشياء لا وجود لها.

ثم تحولت إلى صديقها الجالس بجانبها وقالت: أليس كذلك يا جيم؟ أتذكر حكاياتها الخيالية عن فرامل سيارتها؟

فأجاب بلهجة صادقة: نعم، لقد زعمت أن بفرامل سيارتها خللاً، ولكني فحصتها بنفسي فلم أجد فيها عيباً، وأنا شخص أفتخر بأنني عليم بميكانيكا السيارات، وهذا هو الدليل.

أدار رأسه إلى ناحية الطريق وأومأ بطرف سبابته إلى سيارة حمراء متألقة تقف عند سياج الفندق، وسألته: أهذه سيارتك؟

فأجاب في افتخار: نعم.

فرغ بوارو من حديثه مع الآنسة باكلي، ولحقت به فابتدرني بقوله: لقد اتفقت مع الآنسة باكلي على أن نزورها في السادسة مساء.

فتساءلت: وما هدفك من هذه الزيارة؟

- أن أحميها وأنقذها من الموت الذي يحوم فوق رأسها.

* * *

ما أشرفت الساعة على السادسة حتى غادرنا الفندق منطلقين إلى بيت الرعب، وفيما كنا نجتاز حديقة الفندق طرأت ببالي فكرة لا يمكن أن تخطر إلا للمجانين. قلت: إنني لا أشاطرك رأيك يا عزيزي بوارو.

فسألني: ما الذي يدور برأسك يا عزيزي هيستنغز؟

- إنني أسلّم معك بأن الحديقة غير مطروقة، ومع ذلك فما من قاتل يتجاسر على ارتكاب جريمته في مثل هذا المكان خشية أن يشاهده أحد من النزلاء.

فقال بوارو بسخريته الأليمة: أعلم يا صديقي أنك شخص

ذكي، ومع ذلك فإن ذكاءك يخونك في بعض الأحيان. أولاً: لا خوف أبداً من أن يسمع أحدٌ دوي الرصاص لأن هدير محركات القوارب سيبتلع الدوي، وثانياً: في وسع القاتل أن يختبئ بين شجيرات الحديقة ثم يطلق الرصاصة الغادرة دون أن يلمحه أحد.

فقلت وما زلت متشبثاً بالاعتراض: ولكن أمره لن يلبث أن ينكشف، فرواد المنطقة معروفون وهم جميعاً نازلون بالفندق فلن يكون اكتشاف القاتل بالأمر العسير.

- وما أدراك بأنه سيكون هناك قاتل؟

فتساءلت: ماذا تعني؟

أجاب: أعني أن القاتل قد دبر الأمر بحيث تبدو جريمته مجرد حادث.

- حادث؟ ماذا تعني؟ إنني لا أفهم.

- فكر قليلاً يا صديقي، حادث انتحار مثلاً.

- ولكن كيف؟ كيف يتسنى له هذا؟

- دع الأمر الآن ولاحقاً سينجلي لك كل ما خفي عنك.

عبرنا حديقة الفندق وخرجنا من بابها الخلفي إلى طريق ضيق، ثم انحرفنا يميناً فواجهتنا أرض فضاء تعلوها لوحة مكتوب عليها هذه الكلمات: «طريق خاص». اقتحمنا الطريق الخاص وسرنا نحو مئتي متر فلمحنا في الأرض الفضاء بستانياً منكباً على عمله، وحيّانا حين مررنا به وخيّل إليّ أنه كان يتابعنا ببصره في اهتمام. غمغم بوارو في صوت خافت يكلم نفسه:

ترى هل يمكن أن يكون...

وبتر كلمته ولم يتممها، ولم أشأ أن أستفسر منه عما يدور بذهنه حتى لا أقطع عليه خواطره. وتراءى لنا بيت الرعب قائماً في نهاية الطريق تحف به الأشجار والشجيرات وتمتد أغصان بعضها حتى تستقر فوق السقف. فتحت لنا الباب امرأة كهلة فقالت لنا إن الآنسة باكلي ما زالت في الخارج ولم تعد بعد، فلما قلنا لها إننا على موعد معها نظرت إلينا في شيء من الاستغراب، ولكننا لم نتزحزح عن مدخل الباب فلم ترَ مناصاً من أن تدعونا إلى الدخول.

كانت غرفة الاستقبال رثة الحال وأثاثها من طراز قديم وستائرها حائلة اللون سرى إليها البلى. وفي أحد الزوايا كان هناك غرامافون من طراز قديم بجانب كوم من الأسطوانات وبعض الكتب، كما كانت على الأريكة نسخة من مجلة سان لو الأسبوعية، وكانت الجدران مزينة ببعض اللوحات.

وفيما نحن نتأمل الغرفة ومحتوياتها أقبلت الآنسة باكلي من الخارج فهتفت بالخادمة: هيا يا إيلين، أسرعي وهاتي العصير. ثم تحولت إلينا تحيينا بأسلوبها المرح العابث: هاأنذا قد جئت أخيراً. لقد وفقت بمشقة إلى التخلص من أصدقائي. ثم تابعت: إنني متلهفة يا سيدي على أن أسمع ما تريد أن تفضي به إليّ. لا شك أنه شيء خطير، فقد كان وجهك صارماً جاداً وأنت تسألني أن أحدد لك موعداً.

قال بوارو: صدقت يا آنسة، إن لديّ فعلاً كلاماً خطيراً.

أطلقت الفتاة ضحكة رنانة وقالت: أتراك تخدعني؟ أرجو

ألاّ تكون قد جئت لتبيعني آلة كهربائية مثلاً؟ ولكن لا، هذا مستحيل؛ إن هيئتك لا تنم عن أنك بائع متجول.

في تلك اللحظة جاءت الخادمة إيلين تحمل أكواب العصير فوضعتها على المائدة وانصرفت. وقدمت إلينا باكلي كأسين ثم جلست على مسند أحد المقاعد ورشفت جرعة من كأسها وقالت: والآن حدثني بما لديك.

بسط إليها يده بالرصاصة التي التقطها من الشرفة وقال: أتعرفين هذا الشيء؟

فأجابت: طبعاً، إنها رصاصة.

- تماماً، فاعلمي إذن أن الشيء الذي اصطدم بقبعتك بالأمس وأنت تعبرين الحديقة لم يكن دبوراً كما توهمت.

- إذن ماذا كان إن لم يكن دبوراً؟

- هذه الرصاصة هي التي أصابت قبعتك.

ترددت ضحكتها الرنانة وجلجلت في أنحاء الغرفة وقالت: إذن فهذه المرة الرابعة التي أنجو فيها من الموت بمعجزة. لا شك أنني محظوظة.

- ولكن الحظ قد يخونك يوماً ما يا آنسة باكلي، ومن أجل هذا جئت.

فتطلعت إليه باستغراب وقالت: ماذا تعني؟

أجابها بهدوء: ألم يخطر ببالك أن هناك من يستهدف حياتك؟

عادت تضحك من جديد وقالت: يا لها من مغامرة عجيبة! ولماذا يريد أي إنسان أن يقتلني؟ إنني امرأة فقيرة فلن يتمنى وريثي أن يزيحني من الطريق لكي يرث ملاييني.

قال لها بوارو: هل لك يا آنسة أن تروي لي الأحداث الثلاثة التي أشرت إليها وتعرضت فيها للموت؟

فقالت في استخفاف ومرح ودون أن يبدو عليها أي أثر للانزعاج: بكل سرور. كانت المرة الأولى حين سقطت على وسادتي لوحة كبيرة معلقة فوق سريري، ولحسن الحظ أنني كنت قد نهضت في تلك اللحظة لأشرب كوباً من الماء، ولو أنني كنت نائمة في فراشي لتهشمت جمجمتي لأن تلك اللوحة الملعونة ثقيلة الوزن تزن طناً.

سألها بوارو: والمرة الثانية من فضلك؟

أجابت: في طريقي إلى البحر لا بد أن أعبر ممراً ضيقاً صخرياً تحف به الحجارة، وفيما كنت أجتازه انفصلت من قمة الممر صخرة ضخمة فانزلقت على جوانبه، ولولا أنني كنت قد تجاوزت موضع سقوطها بمتر واحد لأحالت جسدي إلى قطعة من العجين.

- إذن نجوت مرتين بمعجزة؟ والمرة الثالثة؟

قالت الآنسة باكلي ضاحكة: ألم أقل لك إنني فتاة محظوظة؟ ثم أكملت: أما المرة الثالثة فكانت ذات طبيعة مختلفة تماماً. ركبت سيارتي لأذهب إلى المدينة، ثم تذكرت أنني قد نسيت شيئاً في البيت فعدت على أعقابي، وحين اقتربت من المنزل عجزت عن إيقاف السيارة وأحسست أن بالفرامل

عطباً، فوجهتها إلى ناحية الشجيرات الصغيرة وتركتها تصطدم بها حتى تتوقف. ولو أنني لم أعد إلى البيت لكان مصيري الهلاك المحتوم، فالطريق إلى المدينة شديد الانحدار وكثير التعاريج وتحف به الهاوية من اليمين، فكان لا بد أن تنقلب بي السيارة في الهاوية عند أحد المنعطفات.

سألها بوارو: وما كان عيب الفرامل؟

- يمكنك أن تسأل صاحب المرآب موتي، فقد صدع رأسي بحديث فني طويل خرجت منه بأن لوالب الفرامل قد انفكت، وقد سألت إيلين عما إذا كان ابنها الصغير قد عبث بالسيارة فأكدت لي أنه لم يقترب من الكراج لحظة واحدة.

- أين كراج سيارتك يا آنسة؟

- في الناحية الخلفية من البيت.

- وهل توصدينه بالمفتاح؟

- أبداً، إنني أتركه مفتوحاً دائماً.

- إذن ففي وسع أي إنسان أن يتسلل إلى الكراج ويعبث بسيارتك دون أن يلمحه أحد.

- هذا ممكن طبعاً، ولكنه احتمال بعيد.

فقال لها بوارو: ولم لا يا آنسة؟ ألا تعلمين أنك مستهدفة للموت وأن هناك من يحاول أن يقتلك؟

- ولماذا يحاولون أن يغتالوني؟

نظر إليها بوارو لحظة ثم قال: أنا لم أذكر لك اسمي حتى

الآن يا آنسة. اسمي هيركيول بوارو.

فتظاهرت بالدهشة وقالت: حقاً؟!

- ترى هل سمعت باسمي من قبل؟

فأجابت بكلمة سريعة وهي تتململ في مقعدها: طبعاً، طبعاً؛ طالما قرأت اسمك تردده الصحف والمجلات.

لاحت ابتسامة خفيفة على شفتي بوارو وقال: بل إنك ما سمعت باسمي أبداً أيتها الكاذبة الحسناء. ثم التفت إليّ وقال: هيستنغز، حدثها عني، قل لها من أنا.

فقلت للآنسة باكلي: إنه رجل تحر شهير.

فتطلع إليّ بوارو حانقاً وقال: أهذا كل ما لديك؟ بوارو رجل تحر شهير؟ كلا يا عزيزتي، إنني رجل تحر فريد من نوعه ولا نظير له في العالم؛ أنا أبرع تحر سري في هذه الدنيا التي لن تجود بمثلي إلا كل أجيال وأجيال.

وابتسمت وأنا أستمع إلى كلماته، وأدركت أن نوبة الغرور قد عاودت صديقي من جديد. وضحكت الفتاة وقالت بمرح: أنت شديد التواضع فيما يبدو يا سيد بوارو.

فأجاب بعناد: إنني لا أردد إلا ما يقوله عني الناس جميعاً.

نظرت إليّ الفتاة وقالت ضاحكة: ولا شك أن السيد هيستنغز هو الدكتور واطسون ما دمت أنت شرلوك هولمز؟

فأجابها بوارو: يمكنك أن تصفيه بهذا. ثم استطرد: كفاك

ضحكاً واستخفافاً يا آنسة باكلي وتدبري الأمر جدياً، هناك من يريد أن يقتلك.

تطلعت الفتاة إلى لوحة معلقة على الحائط وقالت: هذا هو جدي الكبير، فهل يا ترى خبأ في هذا البيت كنزاً طمع البعض فيه فقرروا قتلي للاستيلاء على الكنز؟ ثم ضحكت واستطردت تقول: ولكن لعل الكنز مخبأ تحت إطار الصورة، فقد ألح جيم لازاروس على شرائها فأبيت.

قال بوارو: حقاً! ولكن دعينا من هذا الآن ولنعد إلى ما كنا فيه. واسترسل يقول في لهجة تتسم بالجلد: أرجوك يا آنسة ألا تستخفّي بالأحداث التي تجري حولك، هل تريدين دليلاً على أن هناك من يحاول قتلك.

- ربما اقتنعت عندئذٍ.

فمد يده وتناول قبعتها وقال: أترين هذا الثقب؟ إنه ثقب الرصاصة التي أطلقت عليك اليوم من مسدس موزر.

فهتفت: مسدس موزر؟ هذا غريب.

- أتعرفين أحداً لديه مسدس من هذا الطراز العتيق؟

- أنا نفسي يا سيد بوارو، لديّ مسدس من موديل موزر ورثته عن جدي، وهو دائماً موجود في هذا الدرج.

وأسرعت لتأتي بالمسدس، ثم إذا بها ترتد إلينا وفي وجهها علامات الجزع وهي تقول: لقد اختفى المسدس!

* * *

الفصل الثالث

منذ لحظة اكتشاف اختفاء المسدس اتخذ الحديث مجرى مختلفاً. كانت تاكي تأخذ الأمر في البداية مأخذ الاستخفاف وعدم المبالاة وتستهين بتحذيرات بوارو، أما الآن وقد اكتشفت أن المسدس اختفى من الدولاب فقد بدأت تنظر إلى الأمر نظرة جدية، ولاح لها أن تحذيراته تستند إلى أساس. استوت جالسة على مسند المقعد من جديد وقالت: هذا عجيب؛ إن الأمر يبدو غريباً وغامضاً.

تحول إليّ بوارو قائلاً وقد شردت نظراته: أتذكر ما قلته لك يا هيستنغز صباح اليوم أن القاتل قد دبّر الأمر بحيث يبدو مصرع الآنسة باكلي على أنه مجرد حادث وليس جريمة قتل؟ إن اختفاء المسدس يؤيد نظريتي. عندما يعثرون على جثة الآنسة باكلي في الحديقة سيعثرون على المسدس بجانب جثتها وسيكتشفون إنه مسدسها، وسيجدون بصمات أصابعها منطبقة على مقبضه فيقولون إنها انتحرت في نوبة من نوبات الاكتئاب. ولن يكون من العسير إثبات أن مثل هذه النوبات تعتريها من حين لآخر.

قالت تاكي موافقة: الواقع أنني كنت في الأسابيع الأخيرة ضيقة الصدر أنظر إلى كل شيء حولي من خلال منظار أسود.

قال بوارو: وفي مثل هذه الحالات لا يستبعد إقدام المرء على الانتحار.

فضحكت الآنسة باكلي وقالت: أليس الأمر مسلياً يا سيد بوارو؟

فنظر إليها بوارو نظرة عابسة وقال: أما زلت على استخفافك؟ اسمعي يا آنسة، إن الموقف خطير فكوني على حذر، وإذا كنت قد نجوت حتى الآن أربع مرات فقد يوفَّق القاتل في المرة الخامسة.

فقالت الآنسة باكلي عابثة مازحة: إذن عليك أن تبادر بتجهيز عربة الموتى.

- بل إنني هنا يا آنسة باكلي لآمر عربة الموتى بالانصراف، لقد جئنا لكي نحميك وننقذك.

شعرت بالفخر والزهو حين سمعت بوارو يضمني إليه ويقول بصيغة الجمع إننا جئنا كي ننقذها، وانبريت أقول: يجب أن تطمئني يا آنسة باكلي، فنحن ساهرون على حمايتك.

فابتسمت الفتاة وقالت: لشد ما أنا ممتنة لكما. المغامرة سوف تكون ممتعة حقاً ما دام أشهر شرطي في العالم يبسط عليّ حمايته.

ورغم كلماتها المستخفة إلا أنني لمحت في عينيها ظلاً من الانزعاج. وقال بوارو: إنه لأمر جوهري يا آنسة باكلي أن أوجه إليك بعض الأسئلة، إذ يجب أن أقف على جميع الحقائق والظروف.

فأومأت برأسها موافقة وهي تقول: سل ما بدا لك، أنا تحت أمرك.

فقال بوارو: السؤال التقليدي المألوف هو: هل لك أعداء يا آنسة باكلي؟

فهزت رأسها سلباً وأجابت: لا أعتقد، ولا أظن أن هناك سبباً يعاديني الناس من أجله.

- إذن فلنستبعد هذا الاحتمال. ثم تابع يستجوب الفتاة بأن سألها: من الذي يستفيد من موتك؟

كان جوابها: لا أظن أن أحداً يمكن أن يستفيد من وراء موتي، فإنني لا أملك إلا هذا البيت المخرب المهدم الذي يكاد سقفه أن ينقضّ ويتهاوى، كما أنه مرهون يستغرق الدين ثمنه إذا فكر أحد في بيعه. ثم ما لبثت أن تابعت ضاحكة: وإذا هدمناه أنقاضاً فلا أحسب أننا سنجد كنزاً مدفوناً تحته أو منجماً للذهب أو حتى للفحم.

سألها بوارو: ومن الذي رهن البيت؟

- كان مرهوناً على عهد جدي، ثم تلقى أخي الرهن عنه، وحين مات ورثت البيت على نفس الحال.

- وأبوك؟ كيف لم ينتقل إليه الإرث؟

- لقد عاد أبي من الحرب في سنة ١٩١٩ مريضاً، وما لبث أن قضى نحبه مصاباً بالسل ثم لحقت به أمي وأنا ما زلت طفلة صغيرة. وقد عشت في كنف جدي حتى ترعرعت، أما أخي جيرالد فكان على خلاف دائم مع جدي، وكان جدي لا يفتأ

يقول إنني ورثت عنه طباعه وخصاله.

وأطلقت الآنسة باكلي ضحكتها الرنانة تقول: كان جدي شخصاً عجيباً من طراز مختلف، وكان الناس حولنا يعتقدون أنه ما من شيء يلمسه إلا تحول إلى ذهب. والواقع إنه كان مولعاً بالمقامرة حتى فقد كل ما يملك، فلم يخلّف لنا عند وفاته إلا هذا البيت العتيق المهدم. وعند وفاته كنت أنا في السادسة عشرة، أما أخي جيرالد فكان قد تجاوز الثانية والعشرين، وقد لقي مصرعه بعد ذلك في حادث سيارة، وهكذا آل إليّ هذا المنزل.

وسألها بوارو: ومن أقرب الأقارب إليك؟

- ابن خالتي شارل فيز، وهو يدعى آمي، وهو محام يعمل في هذه المنطقة وله مكانة ملحوظة، وطالما نصحني بأنً أكف عن حياة البذخ والإسراف.

- هل هو يرعى مصالحك ويتولى شؤونك المالية؟

- نعم، هو الذي يباشر الرهن. وقد جاءني بمستأجر للكوخ الصغير الكائن في حديقة المنزل ليأتيني بدخل أنتفع منه.

- إذن فلديك ساكن ليس من الأسرة؟

- تماماً، أسترالي يدعى كروفت. وهو مولع بفلاحة البساتين، ولطالما أهداني شيئاً مما يزرعه، أما زوجته فمسكينة مصابة بالشلل تقضي نهارها وليلها طريحة الفراش.

- ومتى سكنت عندك أسرة كروفت؟

- منذ ستة أشهر تقريباً.

- هل لك أقارب آخرون خلاف شارل فيز؟

- نعم، أبناء عمومة بعيدون، أسرة باكلي في يوركشاير.

وسألها: والأصدقاء، حدثيني عنهم وعن حياتك.

- إنني أقضي معظم حياتي في لندن، وهي حياة صاخبة مرحة كما لاحظت، وحولي نفر من الأصدقاء أقضي معهم سهراتي.

- وخدمك؟ ألديك كثير من الخدم؟

- إيلين هي خادمتي، وزوجها هو البستاني الذي يرعى الحديقة ولهما طفل يعيش معهما. وحين أقيم حفل استقبال فإنني أستعين بخادمة مؤقتة من بنات القرية، وهذا ما أنوي أن أفعله يوم الإثنين القادم بمناسبة سباق القوارب.

- الإثنين القادم واليوم هو السبت، إذن ففي الوقت متسع. والآن حدثيني عن أصدقائك، ولنبدأ بمن رأيتهم يتناولون الفطور معك اليوم.

- فريدي رايس هي أعز صديقاتي، ولكن المسكينة سيئة الحظ، فرغم جمالها تزوجت وحشاً على هيئة إنسان فلم تطق العيش معه فانفصلت عنه منذ عام أو عامين، وإنني لأتمنى أن تظفر بالطلاق منه حتى تقترن بجيم لازاروس.

فقال بوارو متسائلاً: لازاروس؟ أهو بائع التحف المعروف في شارع بوند؟

- هو بعينه، وهو شاب ثري جداً. أرأيت سيارته الحمراء الفريدة؟ وهو يهيم حباً بفريدي، وقد قاما معاً برحلات عديدة. وهما الآن يقضيان عطلة الأسبوع في فندق ماجستيك، وقد

دعوتهما إلى المأدبة التي سأقيمها يوم الإثنين القادم.

- وأين زوج السيدة رايس الآن؟

- لا أحد يعلم، فقد اختفى فجأة بعد أن انفصلت عنه فريدي، وهذا ما يزعجها، إذ لا سبيل إلى الطلاق إلاّ إذا كان الطرفان حاضرين.

فقال بوارو موافقاً: طبعاً، هذا ما يفرضه القانون.

- المسكينة فريدي! لقد عاشت مع زوجها حياة مذلة وفقر. تصور أنه اضطر إلى الفرار من مسكنه والاختفاء لأنه عجز عن سداد الإيجار.

قلت معقباً: إنه نصّاب محتال إذن؟

فقال بوارو باسماً: لا تهتمي برأي صديقي هيستنغز، فهو رجل مثالي يعيش على تراث الماضي ويؤمن بالنزاهة. ثم مضى في استجوابها قائلاً: والآن حدثيني عن صديقك الكابتن شالينجر.

- جورج؟ إنني أعرفه منذ زمن طويل، منذ خمس سنوات تقريباً، وهو شاب رائع.

- وهل تنوين أن تقترني به؟

- لقد تحدث إليّ في هذا فعلاً صباح اليوم. ولكن ما جدوى مثل هذا الزواج؟ كلانا مفلس وأخشى أن أضيق بالحياة معه بعد فترة من الزواج، فأنا ما زلت في عنفوان الشباب أما هو فقد تجاوز الأربعين فيما أعتقد.

فقال بوارو: والآن فلنعد إلى ما كنا فيه. حدّثيني عن هذه

اللوحة التي سقطت فوق فراشك وأوشكت أن تحطم رأسك.

- أتحب أن تراها؟

وقادتنا إلى غرفة نومها، فتناول بوارو قطعة قماش بسطها فوق السرير ثم وقف فوقها ليفحص اللوحة عن كثب. وسألها: أكان الحبل القديم الذي كانت معلقة به مجدولاً بالسلك كهذا الحبل؟

- نعم، لا شك أن الصدأ قد سرى فيه فانقطع.

- هل فحصت موضع التمزق، أعني أكان منسلاً؟

- لا أدري، فأنا لم أهتم بأن أفحصه.

- أحب أن أرى الحبل القديم لو سمحت.

فقالت الآنسة باكلي: لقد وضعته على المائدة، والأرجح أن العامل الذي أتى بالحبل الجديد قد أخذ معه القديم.

- هذا شيء يؤسف له، فقد كنت أتمنى أن أفحصه.

- أما زلت مصراً على أن الحادث كان مدبراً؟

- وهل يمكن أن يكون غير ذلك؟ وفرامل سيارتك التي اختلت كانت هي الأخرى حادثاً مدبراً.

هزت تاكي كتفيها في استخفاف دون أن تتكلم، فقال بوارو: أحب أن أرى الممر الصخري الذي انفصل أحد أحجاره وكاد أن يسحقك تحته.

مضت بنا الآنسة باكلي إلى الحديقة، ومشينا إلى طرفها

الأقصى حيث انتهينا إلى الممر الصخري الذي أفضى بنا إلى البحر. سألها بوارو: كم عدد مداخل حديقتك يا آنسة باكلي؟

- أولاً المدخل الأصلي المتصل بالطريق العام والذي يمر أمام المبنى نفسه، ثم هذا المدخل الإضافي الذي تراه هناك -وأشارت إليه- والذي يستعمله الخدم والموردون، وأخيراً باب ثالث بالقرب من الممر الصخري وهو يفضي إلى طريق متعرج يؤدي إلى فندق ماجستيك، وهو مسلك ضيق تحف به الشجيرات والأعشاب النامية، وهو الذي سلكته صباح اليوم وأنا في طريقي إلى الفندق.

- في أي مكان يعمل البستاني عادة في الحديقة؟

- إنه عادة يعمل بالقرب من المطبخ، فقد زرع أحواض الزهور في هذه المنطقة.

- أي خلف البيت؟ ومعنى هذا أنه لا يمكن أن يشاهد من موضعه الشخص الذي زحزح الصخرة ليسقطها فوقك.

فجفلت الفتاة ورمشت بعينيها وقالت: إذن فأنت تريد أن تقول إن سقوط الصخرة كان بفعل فاعل؟ أنا نفسي لا أعتقد هذا، إنك تبالغ يا سيد بوارو.

فأبرز بوارو الرصاصة من جيبه ولوح بها أمام عينيها وقال: وهل هذه مبالغة أيضاً؟

- ولكن ما الذي يدعوا أياً كان إلى قتلي؟ لو أن أحداً فكر في هذا لكان مجنوناً دون شك.

فقال بوارو: وهل يغيب عنك أن جميع المجرمين مجانين؟

ثم عاد يسألها: متى وصل أصحابك إلى هذه المنطقة؟

- فريدي جاءت يوم الأربعاء الماضي فأمضت يومين عند بعض أصدقائها بالقرب من تافيستوك ثم جاءت إلى هنا بالأمس، أما جيم لازاروس فأعتقد أنه كان يقوم برحلة في هذه المنطقة فهو مولع بالتجوال.

- والكابتن شالينجر، متى حضر؟

- إنه مقيم في ديفونبورت، ومن عادته أن يحضر بسيارته إلى هذا المكان ليقضي عطلة نهاية الأسبوع.

وبعد صمت قال بوارو: هل لك يا آنسة باكلي صديقة تطمئنين إليها وتثقين فيها؟

- طبعاً، فريدي مثلاً.

- أما من صديقة أخرى غير السيدة رايس؟

فتساءلت: ولكن ما السبب في سؤالك هذا؟

- لأنني أريد أن تأتي دون إهمال بصديقة مخلصة لتقيم معك.

فتريثت برهة مفكرة ثم قالت: هناك ماغي، إنها من أخلص أصدقائي.

- ومن تكون ماغي هذه؟

- إنها تمت إليّ بصلة بعيدة من القرابة وأبوها قسيس وهي في مثل عمري، ومن حين لآخر تزورني لتقضي معي بضعة أيام معي هنا، وكان في نيتي أن أوجه إليها دعوة هذا العام.

- إذن عجلي بدعوتها.

- فليكن، سأبعث إليها اليوم ببرقية.

- اطلبي منها أن توافيكِ صباح غد على الأكثر.

- ولكن ألا يثير هذا التعجيل الشبهات والشكوك؟

- هذا لا أهمية له. وهل يمكن أن تسمحي لها بأن تنام معك في الغرفة ذاتها؟

- نحن نفعل ذلك في العادة.

- حسناً، هذا ما أريده.

قالت باكلي ضاحكة: كأنك ترى أنني في مأزق خطير؟

- إنه أخطر مما تتصورين يا آنسة باكلي.

بعد ذلك عدنا إلى قاعة الاستقبال، ومد بوارو يده فتناول مجلة سان لو التي كانت موضوعة على المائدة وسأل الفتاة: أقرأت هذه المجلة اليوم؟

- لا، ولكني اطلعت على أنباء الأرصاد الجوية فقط.

- ولم تقرئي فيها شيئاً آخر؟

- لا، فأنا لا أهتم بالاطلاع على الصحف عادة.

وبعد صمتٍ قصير عاد يسألها: ترى هل كتبت وصيتك يا آنسة باكلي؟

- لقد حررت وصيتي منذ ستة شهور قبل أن أجري عملية المصران الأعور.

- وما فحوى الوصية؟

- لقد أوصيت بالبيت لشارل فيزا ابن خالتي، أما مقتنياتي الأخرى فأوصيت بها لفريدي.

نهض بوارو واقفاً وهو يقول: والآن حسبي ما عرفت من بيانات، ولكن كوني على حذر.

فسألته: وممَّ أحذر؟

- من كل شيء؛ من حوادث السيارات ومن الطعام المسموم وطلقات الرصاص...

فقالت تاكي في سخرية لاذعة: وطبعاً من السهام المسمومة.

- لا تسخري يا آنسة ولا تظني الأمر مزاحاً.

وعند الباب استدار إليها وسألها: كم عرض عليك لازاروس في صورة جدك الكبير؟

- خمسين جنيهاً.

رفع عينيه إلى الصورة المعلقة على الجدار وراح يتأملها باهتمام، واستطردت الفتاة تقول: ولكني لن أفرط فيها مهما بلغ الثمن.

فغمغم في شرود: نعم، نعم، احتفظي بها ولا تفرطي فيها.

* * *

الفصل الرابع

قلت لصديقي هيركيول بوارو والسيارة منطلقة بنا: أتحب أن تعرف ما يقوله أصدقاء الآنسة باكلي عن حادث اختلال فرامل سيارتها؟ وأعدت على مسمعه ما حدثتني به السيدة رايس في هذا الشأن، فقال: هذا أمر طريف حقاً. إذن فالسيدة رايس تعتقد أن تاكي لفقت من مخيلتها هذا الادعاء عن اختلال فراملها. يجب أن لا ننسى بأي حال أن في الدنيا قوماً يخترعون الأكاذيب عن أخطار استهدفوا لها ثم يرددونها مؤمنين بها.

فقلت متسائلاً: إذن فأنت تعتقد أن...

فقاطعني: لكن الآنسة باكلي ليست من هذا الطراز. أنسيت أي جهد كابدنا ونحن نحاول أن نقنعها بأنها مستهدفة للموت؟ إن ما أسرّت به إليك السيدة رايس مقصود به صرفنا عن الاهتمام بهذا الموضوع. ثم ما الذي جعلها تبادر إلى طرق هذا الموضوع معك في حين أنك لم تتحدث إليها إلا دقائق معدودات؟

فقلت: في الواقع أنني لا أدري كيف تطرق بنا الحديث إلى هذا.

- هذا غريب، غريب جداً! ومع ذلك فسوف أتخذ من

حديث السيدة رايس بداية للطريق الذي سوف أسلكه.

- ما الذي جعلك يا بوارو تطلب إلى الآنسة باكلي أن تأتي بإحدى قريباتها معها؟

فأجاب: في هذه القضية التي نحن بصددها يا عزيزي هيستنغز قاتل مجهول، لا نعرف من أي موضع سيوجه ضربته القادمة، والذي يهمني في هذا هو أن أحمي الآنسة باكلي وأن أرد عنها أي اعتداء محتمل. وليس من المستطاع طبعاً أن نقضي الليل ساهرين معها أو مرابطين ببابها، فوجود ابنة عمها في نفس الغرفة قد يحول دون تمكن القاتل المجهول من تجديد محاولة القتل لأنه يعرف أن ثمة شاهداً في سوف يراه. ومع ذلك فأنا قلق يا عزيزي هيستنغز.

- وما الذي يقلقك؟

- إن قاتلنا المجهول على قدر كبير من الذكاء، ولست أدري أية خطة جهنمية تفتق عنها ذهنه بعد أن عرف أنني موجود في الفندق.

فسألته: ولكن كيف له أن يعلم؟

- أتذكر المجلة التي كانت منشورة على المقعد في بيت الرعب؟ لقد ألقيت نظرة على الصفحة المفتوحة فإذا فيها هذه العبارة: «بين السائحين الذين نزلوا في فندق ماجستيك السيد هيركيول بوارو والكابتن هيستنغز»، وما من أحد في الدنيا يجهل اسمي وشهرتي.

فقلت باسماً محاولاً أنه أستفزه: ما عدا الآنسة باكلي طبعاً

فإنها لم تسمع عنك أبداً.

فقال: هذا لا يعني أنني لست ذائع الصيت. إن القاتل يقول الآن في نفسه: "ها هو ذا هيركيول بوارو في الميدان، فما الذي جاء به؟ أتراه أتى صدفة أم أنه جاء في أعقابي؟". وأغلب ظني أنه يعتقد أنني إنما جئت لأكشف أمره.

فعقبت بقولي: وفي هذه الحالة سيتخذ الحيطة ويكون على حذر.

- تماماً، ولكنه شخص جسور متهور، ولذلك أعتقد أنه سيبادر سريعاً إلى توجيه ضربته التالية قبل أن يتاح لي الوقت لمزيد من التحريات، وهذا ما يثير انزعاجي، فلو أنها قُتلت لأصبح الطريق أمامي مسدوداً واستحال عليّ أن أنتزع منها ما أنا في حاجة إليه من المعلومات.

- ولكن ما أدراك أن القاتل لم يقرأ في المجلة نبأ نزولك في فندق ماجستيك؟

- بل قرأه، فقد سألت الآنسة باكلي عما إذا كانت قد اطّلعت على المجلة فأجابتني بأنها لم تقرأ فيها إلا أنباء الأرصاد الجوية، فلماذا كانت المجلة مفتوحة على الصفحة التي نشر فيها النبأ؟

- إذن فأنت تعتقد أن القاتل من أهل البيت؟

- من أهل البيت أو ممن يسهل أن يتسللوا إليه، وأعتقد أنه مباح لأصدقاء تاكي أن يدخلوا ويخرجوا ساعة يشاؤون.

- وهل ترتاب في شخص معين؟

- حتى الآن لا، وانتفاء الشكوك هو الذي يضفي الجرأة على تصرفاته، فإنك حين تتدبر الأمر يتبين لك أنه ليس ثمة دافع يدعو إنساناً إلى قتل الفتاة والتخلص منها. إنها لا تملك إلا بيت الرعب وهو مثقل بالرهن، فمن الذي يطمع في الاستيلاء على بيت غارق في الدين؟ إن من الحماقة أن يحاول ابن عمها شارل فيز أن يزيحها من الطريق ليرث مثل هذا البيت، ومع ذلك فيجب أن أزوره وأتحدث إليه فقد أخرج من حديثه بشيء مفيد.

- والسيدة رايس؟ هذه المرأة الغامضة التي حاولت أن تقنعني بأن تاكي فتاة كذوب.

- إذن فقد أثار سلوكها ريبتك؟ نعم، لماذا حاولت أن تدمغ صديقتها بالكذب والتلفيق؟ ما الهدف الذي ترمي إليه من وراء ذلك؟ أتراها تخشى أن تفضي إلينا بشيء آخر له خطورته فأرادت أن تلقي في روعنا أنها كاذبة ملفقة وكان علينا ألا نصدق ما تقول، أم أن حكاية الفرامل صحيحة وأن السيدة رايس تعرف الفاعل وتريد أن تحميه؟ فمن يكون الفاعل؟ ولماذا يهمها أن تتستر عليه؟ ثم هناك أيضاً هذا الشاب الأشقر الوسيم السيد لازاروس. أي دور يقوم به هنا بسيارته الفارهة النفيسة وثروته الكبيرة؟ هل له ضلع في هذه المحاولات؟ ولدينا أيضاً الكابتن شالينجر.

فقلت مقاطعاً: ولكنه يبدو شخصاً شريفاً فلنخرجه من نطاق شكوكنا.

فأكدّ بوارو على فكرتي قائلاً: إنني أؤيد فكرتك، فهو أجنبي عن البلاد ولا أعتقد أن له ضلعاً فيما يحدث، ومع ذلك

فإن تجاربي معك يا عزيزي هيستنغز دلتني على أنك تخطئ عادة في آرائك. أرجوك لا داعي للغضب، لكن الصواب يجانبك دائماً في تحليلاتك واستنتاجاتك، فدفاعك عن الكابتن شالينجر هو الذي أثار الآن ريبتي فيه ولذلك استقر رأيي على أن أوليه عنايتي.

فقلت وقد ثار بي الغضب: أنت تظلمني يا بوارو؛ لقد جبت العالم وحنّكتني التجارب، وأعتقد أن شخصاً من طرازي لا يمكن أن...

فقال بوارو يقاطعني: أليس هذا أمامنا هو مرآب موتي الذي أصلحت فيه الآنسة باكلي خلل سيارتها؟ أرجوك أن تتوقف هنا فإنني أحب أن أتحدث في هذا الشأن إلى صاحب المرآب.

زعم بوارو عند الرجل أنه يريد أن يستأجر سيارة يستخدمها في تنقلاته وأن الآنسة باكلي هي التي زكته لديه وأطرت براعته في إصلاح العطب الذي أصاب سيارتها. وهكذا عرف بوارو كيف يستدرج الرجل إلى الحديث، فقد أفاض في حديث لم أفقه منه إلا القليل، ولكني خرجت منه بأن يداً قد عبثت بالسيارة فأفسدت فراملها وأن هذا العبث كان سهلاً جداً ولا يستغرق إلا وقتاً قصيراً.

قال لي بوارو وقد غادرنا المرآب: إذن فلم تكن صاحبتنا تاكي ملفقة أو واهمة في حديثها عن تلف الفرامل كما زعمت السيد رايس، وكان لازاروس مخطئاً حين أكد لها أن الفرامل كانت سليمة؟ والآن اذهب بنا إلى مكتب البريد لأبعث ببرقية.

فتساءلت: أية برقية؟

فرد قائلاً: مجرد خاطر طاف برأسي.

كتب بوارو البرقية ولم يتنازل بإطلاعي عليها وتركني أتميز غيظاً، ثم قال لي وقد عدنا إلى الفندق: مما يؤسف له أن غداً الأحد، فلا بد أن ننتظر إلى يوم الإثنين قبل أن نلتقي بالمحامي شارل فيز في مكتبه.

فسألته: ولم لا تزوره في بيته؟

- لأنني أحب أن أراه على سجيته كمحام يزاول مهنته، كما أنني أحب أن أوجه إليه سؤالاً بسيطاً دون أن أثير شكوكه، وعلى إجابته يتوقف حكمي عليه، فإذا كان من عادة السيد فيز أن يكون موجوداً في مكتبه في الساعة الثانية عشرة والنصف فمعنى ذلك أن لا شأن له بالرصاصة التي أطلقت على الآنسة باكلي في حديقة الفندق.

قلت له: فهل تنوي أيضاً ن تتحرى عن مكان وجود أصدقاء تاكي الثلاثة أثناء إطلاق الرصاص عليها؟

- إنها مهمة عسيرة يا صديقي، فكل منهم يستطيع أن يتسلل من بين صاحبيه دقائق معدودات يطلق فيها الرصاص ثم يعود إليهما دون أن يفطنا إلى أنه قد تغيب عنهما.

- أنت على حق في هذا. وثمة شيء آخر؛ نحن لا نعرف حتى اللحظة جميع الأشخاص المشتبه فيهم، فالخادمة وزوجها مشبوهان محتمَلان. وكذلك الشأن بالنسبة للمستأجر الأسترالي وزوجته، فكل منهما يمكن أن يكون محلاً للاشتباه.

وغرق بوارو برهة في خواطره ثم مضى يقول: يخيّل إليّ

أن الآنسة باكلي تكتم عني شيئاً، ومن العسير عليّ أن أهتدي إلى طريقي إلاّ إذا كاشفتني بكل ما لديها.

فقلت: أتعتقد أنها تتستر على شخص ما؟

فهز بوارو رأسه سلباً وقال: لا، فحتى اللحظة خرجت من أحاديثي معها بانطباع واضح، هو أنها كانت صريحة معي إلى أبعد الحدود. ولكن يداخلني إحساس بأن ثمة قضايا لم تشر إليها لاعتقادها بأن لا شأن لها بالاعتداءات التي تعرضت لها، ولكم أتمنى أن أعرف ما تكتم دوني.

فقلت: والآن ما خطتك؟

فابتسم بوارو ابتسامة شاردة وقال: يجب أن أعترف يا عزيزي هيستنغز أن بوارو العظيم لا يزال حتى اللحظة تائهاً غارقاً في الظلام.

* * *

الفصل الخامس

في تلك الليلة أقيم حفل راقص في فندق ماجستيك، وبدت الآنسة باكلي وسط أصحابها مرحة ضاحكة حتى لقد بدت كالزهرة النضرة. قلت وأنا تأملها بنظرة إعجاب: يا لها من فاتنة تفيض سحراً وجاذبية!

وقال بوارو إنها على نقيض صاحبتها، فالسيدة رايس تسرف في التجميل إلى درجة، فقلت: ومع ذلك فلها فتنتها الخاصة، فتنة الغموض، فلا أحد يعلم إن كانت سعيدة أم حزينة يائسة؟ وهل هي امرأة جادة ورزينة أم مستهترة؟ ولهذا الغموض سحره دون شك.

فجأة ولشدة دهشتي رأيت بوارو ينهض واقفاً ويتجه إلى السيدة رايس، فحذوت حذوه ومشيت في أعقابه. كانت السيدة رايس جالسة وحدها، فقال لها بوارو: أتسمحين لي بالجلوس لحظة يا سيدتي؟ لديّ كلمة قصيرة أود أن أقولها لكِ.

فأجابت في صوت شارد النبرات: إنني مصغية إليك، فما الذي لديك؟

- يخيّل لي يا سيدتي أن صديقتك الآنسة باكلي غافلة عن

الأخطار التي تحدق بها. لقد حدثت اليوم محاولة لقتلها.

اتسعت حدقتها دهشة وذهولاً وقالت: ما الذي تقوله؟

- لقد أطلق أحدهم عليها الرصاص في حديقة الفندق.

لاحت على شفتيها ابتسامة ساخرة وقالت: أهي تاكي التي حدثتك بهذا؟ ألا تعرف أنها تعيش في الأوهام والخيالات؟

فأجاب: بل لقد رأيت الحادث بنفسي، وهذه هي الرصاصة.

وبسط إليها يده والرصاصة في راحته، فقالت: في هذه الحالة، في هذه الحالة...

فاستطرد بوارو: إن الآنسة باكلي تختلق الأحداث التي ترددها، ولكن أسمعت يا ترى بما ترده؟ لا أظن أنكِ عرفت بما يجري، فأنت -فيما بلغني- لم تصلي إلاّ بالأمس، فأنت كنت مقيمة عند...

فقاطعته: عند أصدقاء لي في تافيستوك. وبدت الدهشة في قسمات وجهها وقالت: وهل تريد أن تعرف أسماءهم؟

ارتسمت على وجه بوارو أمارات السذاجة وقال: أسألك المعذرة يا سيدتي، إذ يبدو أنني أسأت التعبير. لقد أحببت أن أقول إن لي أصدقاء في تافيستوك، أعني آل بوكانان، وقد حسبت أنكِ تعرفينهم.

فقالت: لا أذكر أنني قابلت أحداً بهذا الاسم.

عاد بوارو إلى مواصلة حديثه عن محاولة الاعتداء على

الآنسة باكلي، فتساءلت السيدة رايس: لكن من الذي أطلق الرصاص على تاكي؟ وما الدافع؟

- الإجابة على هذا السؤال مستحيلة في الوقت الحاضر، ولكن لابد لي من اكتشاف الحقيقة. أنا رجل تحر سري يا سيدتي، هيركيول بوارو في خدمتك.

فتطلعت إليه في دهشة وقالت: بوارو الذائع الصيت؟

- شكراً لك يا سيدتي على هذا الإطراء.

- ولكن ما الذي تريده مني؟

- ما أرجوه منكِ هو أن تسهري على حياة صديقتك.

- بكل ارتياح، إنها أعز صديقاتي.

شكرها بوارو ورجعنا إلى مائدتنا. قلت له: ألا ترى يا عزيزي بوارو أنك قد كشفت نفسك بهذه الخطوة؟

- وماذا أستطيع أن أفعل سوى ذلك؟ إن نجاة الآنسة باكلي هو الذي يهمني في المقام الأول، وهدفي أن أجنبها الأخطار مهما كان الثمن. وقد خرجت من هذا الحديث بشيء آخر، إن السيدة رايس لم تكن مقيمة في تافيستوك. لقد كانت عيناها تنطقان بالكذب، فأين كانت خلال الأيام الماضية يا ترى؟ تلك مشكلة جديدة لا بد من إماطة اللثام عنها.

ثم أكمل قائلاً: انظر، ها هو لازاروس يجلس مع السيدة رايس وها هي تحدثه بما دار بيننا. إنها تتطلع الآن إلى ناحيتي وها هو يلتفت إلينا. لا شك أنهما يتحدثان عني الآن.

كفت الموسيقى عن العزف فأقبلت علينا الآنسة باكلي وهي تقول في مرح: إنني أرقص الآن على حافة الهاوية كما يقولون في الأمثال.

فقال لها بوارو: لعلك تنشدين الإثارة؟

- ولِمَ لا؟ إن الحياة مملة رتيبة.

ثم انصرفت عنا إلى أصحابها فقلت: إنه لتعبير يروقني... الرقص على حافة الهاوية.

- وهو أيضاً مطابق للواقع. لَكَمْ أتمنى أن أراها أكثر حيطة وحذراً.

* * *

كان اليوم التالي هو الأحد وكنا جالسين في شرفة الفندق نطالع الصحف ونتبادل الحديث. فجأة وقد شارفت الساعة على الحادية عشرة نهض بوارو واقفاً وهو يقول: هيا بنا، أحب أن أقوم بمغامرة صغيرة، فقد تركت السيدة رايس الفندق وفي صحبتها لازاروس والآنسة باكلي وأصبح الميدان أمامنا خالياً.

عبرنا الحديقة وخرجنا من باب جانبي خلفي ومشينا في طريق متعرج حتى انتهينا إلى بيت الرعب، ودرنا حول البيت فصعدنا الدرج المؤدي إلى الشرفة، وكان بابها مفتوحاً فدلفنا منه إلى بهو البيت. لم يتردد بوارو لحظة واحدة بل أسرع يصعد الدرج إلى غرفة الآنسة باكلي وأخذ يفحص الغرفة ويتجول في أنحائها. وحين فرغ من مهمته استدرنا خارجين، وفي منعطف السلم تناهى إلى أسماعنا صوت حركة في الطابق الأسفل

فتسمرنا مكاننا وأرهفنا السمع، وعبر سياج السلم شاهدنا شبح شخص في عتمة البهو وجاءنا صوته قائلاً: هيه! من هنا؟ من الذي في الطابق الأعلى؟

هبطنا إلى البهو فابتدرنا الرجل متسائلاً: من أنتما؟ وماذا تفعلان هنا؟

قال له بوارو: قل لي، أنت طبعاً السيد كروفت؟

- نعم، أنا كروفت، ولكن من تكون أنت؟

رد بوارو: يحسن بنا أن نجلس لنتحدث قليلاً.

ومضينا إلى قاعة الاستقبال حيث استهل صديقي الحديث بقوله: اسمح لي أن أقدم إليك نفسي، أنا هيركيول بوارو.

فأشرق وجه الرجل الغريب وهتف: التحري الشهير؟ لقد قرأت اسمك يا سيدي.

فقاطعه بوارو متسائلاً: ربما في مجلة سان لو؟

- لا، بل قرأته في إحدى الصحف عقب حضوري مباشرة من أستراليا.

فقال بوارو: ولكن ما الذي جاء بك إلى البيت الآن؟

أجاب الأسترالي: لقد جئت أحمل إلى صديقتنا الصغيرة شيئاً من الخيار والطماطم. إن البستاني شخص كسول ولذلك توليت بنفسي زراعة جزء من الحديقة، فأنا مولع بزراعة البساتين. وماما، أعني زوجتي، تحب دائماً أن تكون على علاقة طيبة بجيرانها، ولذلك عهدت إليّ بأن أهدي جارتنا الآنسة باكلي

شيئاً مما زرعته. إذن فأنت هيركيول بوارو! ما أسعدني بأن ألتقي بتحر شهير مثلك. إن زوجتي ستطير فرحاً بلقائك يا سيدي، يجب أن تصحبني الآن لتتناول معنا قدحاً من الشاي. إن زوجتي مقعدة مشلولة وسوف يسعدها أن تلتقي بك.

أجاب بوارو في الحال: وأنا أيضاً يسعدني أن ألقاها.

وأكمل الأسترالي متسائلاً: والآن اسمح لي أن أسألك بدوري عن السبب في حضورك إلى هذا البيت؟

فابتسم بوارو وأجاب: السبب بسيط جداً. لقد أخبرتني الآنسة باكلي أن اللوحة المعلقة فوق فراشها قد انقطع الخيط المشدودة به فوقعت، فجئت لأخذ المقاسات لآتيها بخيط جديد من نوع متين. ترى هل حدثتك عن هذا الحادث يا سيد كروفت؟

- نعم، حدثتني عن وقوع الصورة. وبهذه المناسبة، أعتقد أنني رأيتك بالأمس تمر أمام باب بيتنا مع صديقك هذا، أليس كذلك؟

- تماماً، وأنا أيضاً رأيتك وأنت منهمك في حديقتك. والتفت إليّ بوارو قائلاً: هل أخذت المقاسات بدقة يا عزيزي هيستنغز؟

أومأت برأسي إيجاباً. وقال السيد كروفت: والآن هيا بنا لأقدمك إلى ماما المسكينة.

* * *

في الطريق إلى بيت الحديقة الذي يسكنه السيد كروفت

وزوجته حدّثنا الرجل عن نفسه، فقال إنه كان موفقاً في عمله فجمع ثروة كبيرة وإنه يملك مزرعة في أستراليا بالقرب من ملبورن. ثم استطرد قائلاً: لقد رأينا أن نقوم برحلة نطوف فيها أنحاء أوروبا، فزرنا إيطاليا وفرنسا، ثم استقر بنا المقام في إنجلترا لنبحث عن أقارب لزوجتي كانوا يعيشون في هذه المنطقة، بيد أن جهودنا ذهبت هباء إذ لم نعثر على أثر لهم حتى الآن. وحدث لسوء الحظ ونحن في إيطاليا أن أصيبت زوجتي إصابة بالغة في إحدى مصادمات السكة الحديدية ففقدت القدرة على المشي.

غمغم بوارو ببعض كلمات المواساة، واستطرد الرجل: وقد اقترحت زوجتي بعد ذلك الحادث أن نبقى في إنجلترا، فاخترنا هذا المكان لهدوئه وبعده عن ضجة المدن الصاخبة.

وبينما نحن نتبادل الحديث أشرفنا على بيت الحديقة، فجمع الرجل قبضتيه وأدناهما من فمه وأطلق صفيراً على الطريقة الأسترالية. ثم ما لبثنا أن سمعنا نفس الصفير المنغم يصدر من البيت رداً على ندائه، وقال الأسترالي يعلل ما فعل: إنني أحب دائماً أن أخطر زوجتي بقدومي حتى لا تفاجأ بظهوري أمامها، فإن أعصابها مضطربة مرهفة منذ الحادث.

وفتح الرجل باب البيت وقادنا إلى قاعة الاستقبال. كانت امرأته جالسة على أريكة في صدر المكان فقال لها: هل تدرين من الذي أتيت به معي؟ أراهنك على مئة جنيه أنك لن تعرفي! إنه هيركيول بوارو التحري السري العبقري، تخيلي أن يزور بيتنا مثل هذا الشخص العظيم.

هتفت المرأة: يا لها من مفاجأة! إنني معجبة بك أشد الإعجاب يا سيدي، فمنذ إصابتي وأنا عاكفة على قراءة القصص البوليسية، وقد اطلعت على جميع مغامراتك، وكان لغز القطار الأزرق آخر كتاب قرأته عنك.

ثم تحولت إلى زوجها قائلة: عزيزي بيرت، اطلب من إديث أن تعد الشاي.

هرع السيد كروفت إلى خارج القاعة في حين استطردت امرأته تقول: إن إديث بمثابة ممرضة لي، فهي تحضر كل صباح لتساعدني على تغيير ثيابي وتسريح شعري وتنسيق البيت ثم تنصرف إلى حالها، فأنا أكره الخدم الدائمين وزوجي -لحسن الحظ- يجيد الطهي ويحسن فلاحة الحديقة، وفي هذا ما يشغل به وقت فراغه طبعاً.

عاد بيرت كروفت بعد لحظات يحمل صينية الشاي وأخذ يصب الأقداح. وقالت السيدة كروفت: هل تقيم هنا يا سيد بوارو؟

- لقد جئت أمضي بضعة أيام على سبيل الاستجمام فنزلت في فندق ماجستيك.

- لقد قرأت في الصحف أنك قد تقاعدت واعتزلت العمل.

فقال بوارو باسماً: لا تصدقي دائماً يا سيدتي كل ما تقرئين في الصحف.

- إذن فما زلت تمارس مهنتك؟

- عندما يجدّ أمر يدعو إلى تدخلي.

قالت المرأة في بساطة أثارت رثائي وعطفي عليها: لا يمكنك يا سيد بوارو أن تتصور كم أنا سعيدة بأن شرفتنا بهذه الزيارة.

وانبرى زوجها يقول: إن سقوط صورة الآنسة باكلي فوقها كان جديراً بأن يؤدّي إلى كارثة لولا مغادرتها الفراش لحظة وقوع اللوحة.

فعقبت السيدة كروفت: لو أنها وقعت فوقها لقتلتها في الحال، هذه الفتاة المسكينة! إنها تعيش في وحدة مضنية وجيرانها لا يميلون إليها بسبب الحياة المرحة المنطلقة التي تعيشها. ولكن يجب أن يلتمسوا لها عذراً، فذلك طابع الجيل الجديد، الانطلاق والتحرر من كل قيد.

فقال بوارو: إنني لأتساءل عما إذا كان ابن عمها فيز المحامي لم يسألها أن تتزوجه.

فأجابت السيدة كروفت: إنه مجنون بهواها، ولكنها ترفض أن تتزوج رجلاً ريفياً. ثم إنه يكبرها سناً بعدة أعوام، ولعلها تؤثر عليه الكابتن شالينجر، وأعتقد أنها واقعة تحت تأثير صديقتها السيدة رايس وتحاول أن تحاكيها في تحررها وانطلاقها. إنني أرثي لهذه الفتاة وأشعر بالعطف عليها.

نهض السيد كروفت فجأة وقال مقاطعاً: حسبك يا عزيزتي ولا داعي لأن نقحم أنفسنا في مثل هذه الأشياء.

وتناول ألبوماً كان فوق إحدى الموائد الجانبية وقال: أتحب

أن تشاهد مجموعة صوري الأسترالية يا سيد بوارو؟

وعندما فرغنا من مشاهدة الصور وانصرفنا قال لي بوارو: ما رأيك؟

- زوجان لطيفان ودودان.

- إنه يبالغ في إضفاء الطابع الأسترالي على نفسه. هذا الصفير الأسترالي الذي نبه زوجته إلى حضوره ومجموعة الصور الأسترالية...

ثم أردف وهو شارد الفكر: إنني خائف يا عزيزي هيستنغز، خائف جداً.

* * *

الفصل السادس

في صباح يوم الإثنين دخلت على بوارو في غرفته وهو يتناول فطوره فناولني مظروفاً وهو يقول: هل لك يا عزيزي هيستنغز أن تحمل الخطاب على الفور إلى الآنسة باكلي؟

لم أحاول أن أستفسر منه عن مضمون الرسالة ولم يشأ هو من ناحيته أن يكاشفني بشيء. وحين عدت من مهمتي وجدته لا زال جالساً في غرفته وقد استغرق في التفكير. وإن هي إلاّ لحظات حتى رن جرس التليفون في غرفتنا وأبلغنا كاتب الاستعلامات أن الآنسة باكلي تريد أن تقابل السيد بوارو، فأمر بأن تقصد إلينا. وأقبلت علينا الفتاة على عهدها باسمة مشرقة ودفعت إلى بوارو ببرقية وهي تقول: لقد ردت ماغي بالموافقة. كان هذا نص البرقية: «سأحضر اليوم الخامسة والنصف. ماغي». وتابعت تاكي: لعلك راضٍ الآن، فإن حارستي وشيكة بأن تحضر. ولكن يجب أن أنذركَ بأن ماغي فتاة بسيطة سليمة الطوية وليست على ذكاء يؤهلها بمهام الحراسة. إن فريدي خير منها ألف مرة بطبيعة الحال، وكذلك لازاروس.

فسألها بوارو: والكابتن شالينجر؟

- أوه! جورج؟ إنه بطيء التفكير لا يفطن إلى الشيء إلاّ إذا نبهناه، ولكنه حين يرى يثور ويقلب الدنيا رأساً على عقب. واستطردت الفتاة: لقد أصدرت تعليماتي بأن يدخلوا الرجل الذي حدثتني عنه بمجرد حضوره، ولكن ما الذي ينوي أن يفعله يا ترى؟ هل سيخبئ في المكان ديكتافوناً مثلاً؟

فهز بوارو رأسه نفياً وقال: لا يا آنسة، إنني لا أستعمل في عملي الأجهزة العلمية. كل ما هنالك أنه يوجد شيء معين أريد أن أعرفه.

تطلعت تاكي من النافذة ثم قالت في شرود: لقد كنت أحسبني شجاعة ولكن لا أخفي عليك أنني خائفة.

قال بوارو: ولكنك شجاعة يا عزيزتي. إنني وهيستنغز معجبان كثيراً بشجاعتك.

فقلت في حماس وانفعال: هذا صحيح، أنت جديرة بكل إعجاب.

فهزت الآنسة باكلي رأسها نفياً وقالت: الشيء الذي يزعجني أن هناك خطراً يتربص بي وأنني لا أعرف من أية ناحية يداهمني وكيف أتقيه.

فقال لها بوارو: وهذا يؤدي بك إلى توتر الأعصاب؟

- تماماً. تصور أنني بالأمس قبل أن أنام أغلقت النافذة وتطلعت تحت الفراش وفتحت الخزانة أنظر فيها خشية أن يكون في داخلها شخص مختبئ! إن أعصابي وشيكة أن تنهار. وبعد صمت قصير عادت الآنسة باكلي تقول: لعل هذا الضغط على

الأعصاب هو سمة العصر الحديث كما ترجح الصحف دائماً.

قال لها بوارو ضاحكاً: وأنت غارقة في حياة العصر الحديث. ثم ما لبث أن أردف وهو ينظر إليها: إنك يا آنسة لست صريحة معي، أنت تخفين عني شيئاً.

- لا شيء لدي أخفيه.

- ولكنك لم تكاشفيني بكل ما لديك.

- بل رويت لك كل شيء عن الاعتداءات التي تعرضت لها.

فقال بوارو: لكنك كتمت دوني خلجات قلبك.

فنظرت إليه بدهشة وقالت: ألا ترى أنك تتدخل في شؤوني الخاصة بهذا السؤال؟

فهتف بوارو بنبرة انتصار: آه، هذا اعتراف منك بأن لقلبك سراً يطويه.

صممت الآنسة باكلي برهة ثم قالت: الواقع يا سيد بوارو أنني صارحتك بكل ما في نفسي ولم أكتم عنك شيئاً. على أن الشيء الذي يعذبني هو تلك الشكوك التي تفترسني، فأنا لست من الغباء بحيث يغيب عني أن هذه الأحداث لا بد أن تكون من تدبير شخص قريب جداً، شخص يعيش معي ويختلط بي ولا تغيب عنه خافية من حركاتي وسكناتي، فهذا الشيء يؤرق لياليّ ويكاد يصيبني بالجنون.

واقتربت مرة أخرى من النافذة وسرحت ببصرها بعيداً إلى

الأفق، ثم استدارت إلينا فجأة وقالت: إنني أحب بيت الرعب ولا أفكر أبداً أن أتخلى عنه، ولكن هذه الأحداث العجيبة هزت مشاعري وزعزعتها.

قال لها بوارو يسري عنها: هوني عليك يا فتاتي، فإن الاستغراق في مثل هذه الخواطر قد يؤدي بك إلى انهيار عصبي.

- إن صديقتي فريدي تحذرني دائماً من ذلك، وقد قالت لي إنني كنت أصاب في بعض الأحيان بنوبات من الانهيار فأروي قصصاً مختلقة أبتدعها من مخيلتي وأؤكد أنها وقعت لي.

سألها بوارو: ترى هل عرض عليك أحد أن يشتري منك منزل الرعب؟

- حتى الآن لم يعرض عليّ أحد شراء البيت، ولو حدث هذا لرفضت إلاّ إذا كان الثمن مغرياً.

اتجهت تاكي إلى الباب تريد الانصراف ولكنها استدارت إلينا قائلة: على فكرة ستقام الليلة حفلة ألعاب نارية، فلِمَ لا نتناول العشاء معاً ثم نشاهد الصواريخ؟

فأجابها بوارو: بكل سعادة، إنه ليسعدني أن ألبي دعوتك. وغمغم بوارو وهو يشيعها ببصره: يا لها من فتاة مسكينة! ثم أردف: والآن هيا بنا فإن لدي زيارة لا بد من إنجازها.

ومضينا إلى مكتب شارل فيز المحامي ابن عم الآنسة باكلي، وما هي إلا دقائق حتى كنا في حضرته.

* * *

قدم بوارو إلى المحامي مشروع عقد كان قد أعده من قبل خصيصاً لهذه الزيارة وهو يقول: لقد جئت أستشيرك بشأن ذلك العقد، فأنا أجنبي عن البلاد وقد يغيب عني بعض الاصطلاحات القانونية.

ألقى شارل فيز نظرة سريعة على نصوص العقد وأبدى بعض الملاحظات، ثم أردف متسائلاً: ولكن من الذي أرشدك إليّ؟

أجابه بوارو دون ذرة من التردد: الآنسة باكلي. إنها ابنة عمك، أليس كذلك؟ إنها فتاة لطيفة، وحين رأت حيرتي أمام هذا العقد نصحتني بأن ألجأ إليك، وقد جئت إلى مكتبك يوم السبت في الساعة الثانية عشرة والنصف فوجدتك متغيباً.

فأجاب فيز: هذا صحيح، فقد انصرفت يوم السبت مبكراً على خلاف عادتي.

ذلك ما كان بوارو يريد أن يعرفه، كان يريد أن يعرف ما إذا كان شارل فيز موجوداً في مكتبه ساعة إطلاق الرصاص على الآنسة باكلي أم كان متغيباً عنه، واستطرد قائلاً: لا شك أن الآنسة باكلي تشعر بالوحشة وهي تقيم في هذا البيت، فقد فهمت أنه بيت كبير واسع الأرجاء.

فأكد فيز بقوله: هذا صحيح.

- ترى هل ترضى الآنسة باكلي بأن تبيع البيت؟

- لا؛ بل أظن أنها متشبثة به.

استطرد بوارو: أنا لم أوجه إليك هذا السؤال بدافع

الفضول، إذ الواقع أن البيت قد راق لي وجو سان لو يلائمني، فهل تعتقد أن ابنة عمك ترضى بأن تبيعه لي إذا ما عرضت عليها ثمناً كبيراً مغرياً؟

فهز شارل فيز رأسه في حزم وأجاب: لا أحسبها ستفرط به، فإنها شديدة الاعتزاز به كتراث عائلي. إن تشبثها بهذا البيت يرقى إلى مرتبة التعصب الجنوني.

حين انصرفنا من مكتب المحامي قال لي بوارو: ثمة شيء أثار انتباهي في حديث شارل فيز.

- ما هو هذا الشيء؟

- حين سألت باكلي عما إذا كانت ترضى بأن تبيع البيت أجابت بأنها معتزة به ولكن إذا عرض عليها ثمن مغر فإنها تقبل أن تبيعه، أما شارل فيز فأكد لنا أنه من المستحيل أن ترضى ببيعه وقال إن تشبثها بالبيت يرقى إلى مرتبة التعصب الجنوني، فأيهما أصدق؟

- لا بد أن أحدهما كاذب.

قال بوارو: ثمة شيء آخر استرعى انتباهي؛ لقد كان شارل فيز متغيباً عن مكتبه ساعة إطلاق الرصاص على الآنسة باكلي.

* * *

الفصل السابع

في ذلك المساء كنا (بوارو وأنا) أول من وصل إلى بيت الرعب، واستقبلتنا الآنسة باكلي وهي ترتدي روباً منزلياً على الطراز الياباني وقالت ضاحكة: إن فستاني لم يصل بعد.

فسألتها: فستان السهرة طبعاً؟

- نعم، فهناك حفلة راقصة بعد الألعاب النارية... هذا إذا سارت الأمور على ما يرام.

- لا تسلمي نفسك إلى الهواجس يا آنسة باكلي، فالمثل يقول: اضحك تضحك لك الدنيا.

وتناهى إلى سمعنا وقع أقدام من ناحية السلم الداخلي، فقالت تاكي: آه! ها هي ماغي قادمة.

وقدمتنا إلى ابنة عمها ماغي التي أشار عليها بوارو بأن تستدعيها للإقامة معها. قالت لها تاكي: اذهبي يا عزيزتي ماغي بضيوفي إلى قاعة الاستقبال ريثما أنجز بعض المهام العاجلة وأفرغ من ارتداء ثيابي.

بدت لي ماغي فتاة بسيطة سليمة الطوية من الطراز المنطوي

الذي يغلب عليه الطابع الريفي، وكانت مرتدية ثوباً أسود اللون خالياً من البهرجة والزخارف، وقد استهلت الحديث معنا بأن قالت: لقد روت لي تاكي أحداثاً غريبة وقعت لها ولا أكاد أصدقها، فما يدور بخاطري أبداً أن هناك من يريد أن يتخلص منها. إنها فتاة بريئة ولا يمكن أن أتصور أن لها أعداء.

فقال لها بوارو بصوت هادئ النبرات: إن الواقع يتجاوز في بعض الأحيان ما يمكن أن يتصوره الخيال يا آنسة.

لبثت الفتاة صامتة كأنما تتدبر كلمات بوارو. قلت: لقد برهنت ابنة عمك يا آنسة على أنها فتاة شجاعة، إذ أبت أن تغير عاداتها وأن تتخذ الحيطة الواجبة في مثل هذه الظروف.

فعقبت الآنسة ماغي على هذا بقولها: وما عساها تفعل غير هذا؟ إنها لا تملك أن تشك في أصدقائها ولا يطاوعها قلبها على أن تضعهم موضع الريبة.

انقطع الحديث بيننا عند دخول السيدة رايس وفي أعقابها صديقها لازاروس الوسيم. كانت فريدي مرتدية ثوباً من الشيفون الأزرق، أما لازاروس فكان على مألوف عادته مشرق الوجه تتلألأ سحنته بابتسامته الجذابة الساحرة. وجاءت الآنسة باكلي في تلك اللحظة ترحب بهما، وكانت تلبس ثوباً أسود اللون وقد أسدلت على منكبيها وحول عنقها شالاً صينياً جميل التطريز من الصوف ذا لون أحمر فاقع، وهتفت بأسلوبها المرح: مرحباً أيها الأصدقاء.

قال لها لازاروس: يا له من شال جميل! إنه شال أثري فيما أعتقد؟

فأجابت: نعم، لقد جاء به جدي الكبير تيموثي وهو عائد من إحدى رحلاته في بلاد الصين.

قال لازاروس: إن تطريزه تحفة فنية، ولا أحسب أن له مثيلاً في الأسواق.

فقالت تاكي: ثم إنه من الصوف الخالص يبعث الدفء في أوصالي وأنا أشاهد الألعاب النارية، فضلاً عن أنه بلونه الأحمر يكسر حدة لون فستاني الأسود، فأنا أمقت السواد.

قالت فريدي: الواقع أنني ما رأيتك أبداً ترتدين ثياباً سوداء، فما الذي طرأ عليك حتى غيرت ذوقك المألوف؟

فهزت تاكي كتفها بغير اكتراث وقالت: هذا سؤال تصعب الإجابة عليه، فلا يعرف المرء أبداً لماذا يروقه هذا اللون دون ذاك.

حان موعد العشاء فقالت تاكي: ليت شعري لِمَ لم يأتِ جورج؟ أرجو على الأقل أن لا يتخلف عن الحفل.

وتناهى إلى أسماعنا هدير قوي صادر من خارج القاعة، فقال لازاروس: يا لهذه الجلبة المزعجة! هذا هدير محركات قوارب السباق.

فانبرت تاكي تقول معترضة: بل إنه هدير إحدى الطائرات المائية.

فأرهف لازاروس سمعه قليلاً وقال: صدقت، فإن لها دوياً مختلفاً عن صوت محركات القوارب. ثم قال متسائلاً: متى تنوين أن تشتري طائرة السياحة التي تحلمين بها؟

فأجابت تاكي: عندما أدّخر ثمنها.

- هل تنوين بعد ذلك أن تطيري بها إلى أستراليا كما فعلت تلك الطيارة الإنجليزية المدعوة... آه، لقد نسيت اسمها.

فقالت تاكي: ليتني أستطيع أن أحذو حذوها.

وانبرت السيدة رايس تقول: الحق أنني معجبة بها أشد الإعجاب، لا شك أنها على قدر هائل من الشجاعة وإلا لما قامت بمثل هذه الرحلة المحفوفة بالأخطار.

قال لازاروس: أنا شديد الإعجاب بالطيارين بوجه عام، فهم مستهدفون للخطر في كل لحظة من حياتهم. فلو أن مايكل سيتون نجح في رحلته حول العالم لأصبح دون شك بطل العصر الحديث. من سوء الطالع أنه قد مُني بالفشل والإخفاق.

فانبرت الآنسة باكلي تقول معترضة: وما أدراكم أنه فشل؟ لا دليل على ذلك حتى الآن.

- صدقت، فما زال هناك شيء من الأمل، ولكنه مجنون بلا شك.

فقالت فريدي: لقد كانوا يلقبونه دائماً «سيتون المجنون»، أليس كذلك؟

فأومأ لازاروس برأسه قائلاً: إنه ينحدر من أسرة عرفت بالبخل واختلال العقل، فعمه السير ماثيو سيتون مات في أحد المصحات العقلية.

تساءلت فريدي: أليس السير ماثيو هو ذلك المليونير

المجنون الذي أوصى بثروته لإنفاقها على رعاية الطيور؟

- هو بعينه، وقد اشترى إحدى الجزر وأخلاها من الناس وتركها مأوى للطيور الشاردة. إنه حقاً لمجنون كبير!

عادت تاكي تقول: على أي شيء تستندون في زعمكم أن سيتون لقي حتفه؟ ما أدراكم أنه ما زال حياً يرزق؟

فقال لازاروس: معذرة يا تاكي، فقد غاب عني أنك تعرفينه.

- لقد التقيت به أنا وفريدي في توكيه في العام الماضي، وهو رجل يبدو في سلوكه شيء من الشذوذ، أليس كذلك يا فريدي؟

- ولماذا هذا السؤال يا عزيزتي؟ لقد كان فتاك أنت لا فتاي؛ لقد دعاك يوماً إلى ركوب طائرته ولعله حلق بك في السماء السابعة.

فأجابت تاكي: نعم، في أوسكار بارو، وكانت رحلة شيقة وممتعة.

والتفتت إليّ ماغي تسألني: أسبق لك أن ركبت الطائرات يا كابتن هيستنغز؟

كان لا بد أن أعترف بأن رحلاتي الجوية لم تتجاوز منطقة لندن.

وأرهفت تاكي أذنها فجأة تتسمع ثم هتفت: آه، إن جرس التليفون يرن. أرجوكم ابدؤوا في تناول العشاء ولا تنتظروني ريثما أرد على التليفون فقد تأخر بنا الوقت.

نظرت في ساعتي فإذا بها التاسعة مساء، وشرعنا في تناول العشاء ونحن نتبادل الحديث في حين هرعت تاكي إلى داخل المنزل. وفي التاسعة والثلث ظهرت تاكي على عتبت القاعة وهتفت بنا: إذن هيا بنا إلى الحديقة، فها هي الفرقة الموسيقية قد وصلت.

ونهضنا وقوفاً لنشاهد الفرقة الموسيقية وهي تمشي في الحديقة في صفوف منتظمة وأنغام موسيقاها تملأ الجو، في حين وقفت الآنسة باكلي تتكلم إلى رئيس الفرقة وترحب به، ثم رأت ابن عمها شارل فيز المحامي قادماً فمالت إلى ناحيته تحييه.

خرجنا جميعاً إلى الحديقة وأخذت الفرقة الموسيقية تعزف أناشيدها، وفي الوقت ذاته بدأت حفلة الألعاب النارية. أخذت الصواريخ تنطلق إلى السماء ودويها يشق الجو شبيهاً بطلقات الرصاص، وكان النسيم عليلاً وإن خالطه شيء من البرودة. كانت ماغي جالسة بجانبي وأخذت ترتعد قليلاً ثم غمغمت وهي تنتفض: الجو بارد! أنا ذاهبة إلى البيت لآتي بمعطفي.

فقالت تاكي: ابقي أنت وسآتيك أنا به.

- لكنك لن تعثري عليه.

مضت ماغي متجهة إلى البيت فنادتها فريدي: ماغي، هل لك أن تحضري معطفي معك؟

قالت تاكي: إنها لم تسمعك فدوي الألعاب النارية غطى على صوتك، سأتولى أنا إحضار معطفك وسأحضر أيضاً معطفي الفرو.

وانطلقت تاكي تعدو إلى البيت، وكانت صواريخ الألعاب النارية تشق طريقها إلى البيت وحين تنفجر يهلل الحاضرون ويهتفون إعجاباً بأنوارها المتلألئة المختلفة الألوان. وفجأة نهض بوارو واقفاً وهو يقول: إن البرد قارس والألعاب النارية لا تستهويني فلم أعد بالشاب اليافع، أنا عائد إلى البيت.

فقلت له: أنا عائد معك.

واتجهنا سوياً ناحية المنزل، وفيما كنا نعبر الحديقة وقد أشرفنا على المنزل تسمرّت قدماي في الأرض وهتفت: يا إلهي! ما هذا؟

فعلى بعد أمتار رأينا هيكل شخص طريحاً على الأرض، وفي وهج صواريخ الألعاب النارية كان رأينا جسمه مغطى بشال صيني فاقع الاحمرار. هتف بوارو برعب واضطراب: يا إلهي! لقد وقع ما كنت أخشاه.

* * *

الفصل الثامن

وقفنا جامدين أمام الجثة المسجاة على الأرض وقد صعقنا من هول المفاجأة المذهلة. وغمغم بوارو بصوت ينبض بالخوف والأسى: لقد وقع ما كنت أخشاه! كان ينبغي أن أكون أشد حيطةً وحذراً، كان ينبغي أن أسهر على حمايتها، ما كان ينبغي أبداً أن أتركها لحظة واحدة. مسكينة الآنسة باكلي، أنا الذي قتلتها بإهمالي!

فقلت أسري عنه: حسبك ولا تلم نفسك، فقد فعلت كل ما في وسعك.

ومال بوارو فوق الجثة فأزاح الشال الصيني الأحمر الذي ورثته تاكي عن جدها، وكانت تنتظرنا مفاجأة أخرى مذهلة. لم تكن تلك تاكي باكلي وإنما كانت جثة ابنة عمها ماغي!

في تلك اللحظة برزت الآنسة باكلي على عتبة المنزل وهي تهتف: معذرة يا ماغي لقد تأخرت عليك، ولكن...

وبترت عبارتها حين رأت عيناها المشهد الذي أمامها، أنا وبوارو منحنيان على الأرض فوق الجثة عند أقدامنا. وأقبلت علينا تاكي راكضة ونظرت إلى الوجه الذي تعلوه سمات الموت

وصرخت: يا إلهي! ماغي؟ مستحيل! ثم تابعت والرعب آخذ منها: هل هي ميتة؟

- نعم، إنها ميتة يا آنسة.

- ولكن ما السبب؟ من الذي قتلها؟ ولماذا يقتلونها؟

- لقد قُتلت خطأ يا آنسة باكلي.

- خطأ؟ ماذا تعني؟

- كنتِ أنتِ المقصودة بالقتل؛ شالك الأحمر هو الذي خدع القاتل وضلله.

غطت تاكي وجهها بيديها حسرة وهتفت: يا إلهي! إذن فأنا السبب في مصرعها، أنا التي قتلت أعز صديقة لديّ!

وبدأت تترنح، وقبل أن تهوي إلى الأرض مغمى عليها كنت قد تلقيتها بين ذراعي. قال لي بوارو: انقلها إلى البيت يا هيستنغز واتصل بالشرطة، ثم ابق بجانب تاكي ولا تغفل عنها لحظة واحدة.

ومضيت إلى الدار وأنا أسند الآنسة باكلي وأجرها جراً، فأرقدتها على الأريكة في قاعة الاستقبال ثم غادرت الغرفة لأبحث عن التليفون، وفي البهو التقيت بالخادمة إيلين فتطلعت إليّ في دهشة وذهول وفي وجهها تعبير غريب، ثم لعقت شفتيها بلسانها في اضطراب وغمغمت: أحدث شيء يا سيدي؟

فلم أحفل بالرد على سؤالها وقلت فوراً: أين التليفون؟

- ولكن ما الذي جرى؟

- لقد أصيب أحدهم بجرح، أين التليفون؟

- لكن من الذي جرح يا سيدي؟

- الآنسة باكلي، أعني الآنسة ماغي باكلي.

- الآنسة ماغي؟! هل أنت متأكد يا سيدي أن التي أصيبت هي الآنسة ماغي؟

- متأكد طبعاً، ولكن لِمَ هذا السؤال؟

- لا شيء، لا شيء. لقد خطر لي أن التي جُرحت سيدة أخرى... الآنسة باكلي مثلاً.

عدت أسألها عن التليفون فأرشدتني إليه قائلة: إنه في هذه الغرفة يا سيدي. ولحقت بي إلى الغرفة، ولكنني ابتدرتها بقولي: هذا كل شيء، شكراً لك. فألفت نفسها مضطرة إلى الانصراف، بيد أنها قالت: إذا كنت بحاجة إلى الدكتور غراهام...

فقاطعتها في اقتضاب: لست في حاجة إليه.

واستدارت منصرفة على مهل. كنت على يقين أنها ترهف أذنيها محاولة أن تتنصت إلى حديثي التليفوني، واتصلت أولاً بالدكتور غراهام الذي أشارت إيلين إلى اسمه لكي يتولى العناية بالآنسة باكلي، ثم اتصلت بالشرطة بعد ذلك. وعندما عدت إلى قاعة الاستقبال كانت تاكي قد بدأت تسترد وعيها وكانت تحاول أن تنتصب جالسة. وغمغمت تقول: هذا فظيع! فظيع!

هونت عليها ببضع كلمات مواسية، فعادت تتمتم: ليتني كنت أنا التي قُتلت! لو أن هذا حدث لانتهت متاعبي.

ثم أخذت تنتحب وتبكي وجسدها ينتفض لفرط انفعالها. وتركتها تبكي إذ كنت أعرف أن العبارات كفيلة بأن تنفس عن صدرها بعض كربه المكبوت. ثم تناهت إلى أذني ضجة صادرة من الحديقة وصوت صرخات، فاقتربت من النافذة فرأيت المدعوين ملتفين حول الجثة وبوارو يتوسطهم، كما رأيت اثنين من رجال الشرطة قادمين على الجمع المحتشد. فاستدرت عن النافذة راجعاً إلى جوار الآنسة باكلي، وغمغمت تاكي في حزن وأسى: يا للفتاة المسكينة! لقد دعوتها لتلقى حتفها.

وران علينا صمت طويل لم نتبادل خلاله كلمة واحدة. وأخيراً فتح باب القاعة ودخل بوارو يصحبه مفتش الشرطة وشخص آخر في ثياب مدنية تبينت على الفور أنه الدكتور غراهام، فقد أقبل على الآنسة باكلي يحيها ويقول لها: كيف حالك الآن؟ هاتي يدك لأقيس نبضك. آه، إنك شديدة الاضطراب والانفعال.

واقترب منها مفتش الشرطة قائلاً: أقدم إليك تعازيّ أولاً يا آنسة باكلي، فلا شك أن مصرع ابنة عمك صدمة كبيرة لك. لقد حدثني السيد بوارو أنك قد استُهدفت لبعض الاعتداءات، كما حدثني عن الرصاصة التي أُطلقت عليك في حديقة فندق ماجستيك.

فقالت تاكي: لقد اعتقدت حينها أن دبوراً ارتطم برأسي.

- هل لك أن تحدثيني عن تفاصيل الاعتداءات الأخرى؟

وروت له تاكي ما كان من أمر هذه الاعتداءات، فقال لها المفتش وقد فرغت من روايتها: إن هذا الشال الأحمر ملك لك

وقد كنت ترتدينه فعلاً أثناء العشاء، فكيف تفسرين وجوده الآن على كتفي ابنة عمك؟

أجابت على هذا السؤال بقولها: لقد عدنا معاً أنا وماغي إلى البيت لنأتي بالمعطف، فوضعت الشال على الأريكة وصعدت إلى الطابق الأعلى لأحضر معطفاً ووشاحاً لصديقتي السيدة رايس. ونادتني ماغي قائلة إنها لم تعثر على معطفها فسألتها أن تبحث عنه في غرفة النوم، فلما لم تجده قلت لها إن من المحتمل أنه لا يزال في السيارة، وعرضت عليها أن تأخذ أحد معاطفي لكنها أجابتني بأنها ستكتفي بشالي الأحمر فهو سميك ومدفئ، ثم انصرفت لكي تلحق بباقي الأصدقاء. وعندما غادرت البيت لألحق بها... يا إلهي! لقد وجدتها...

ومكثت وهي ترتعد حزناً وتكاد تنفجر من البكاء. سألها مفتش الشرطة: ألم تسمعي دوي طلق ناري؟

فهزت رأسها نفياً وأجابت: لم أسمع إلا انفجارات الألعاب النارية.

- أتشتبهين في أحد بشأن الاعتداءات التي تعرضت لها؟

-لا، أبداً، لا أشتبه في أحد.

فقال المفتش: لا بد أنه شخص مخبول، هذا هو رأيي.

أقبل الدكتور غراهام على الآنسة باكلي قائلاً: أرى أن تغادري هذا المكان على الفور يا آنسة باكلي، والسيد بوارو يشاطرني هذا الرأي. إنك في حاجة شديدة إلى الراحة وأرى أن تدخلي أحد المصحات لتقضي فيه فترة من الاستجمام.

وانبرى بوارو قائلاً: وثمة سبب آخر، إنك في المصح ستكونين أكثر أماناً وأبعد عن الأخطار.

هزت باكلي كتفيها باستخفاف ثم قالت: إن كان هناك من يريد أن يقتلني فليتقدم إن شاء، فلست أبالي بأن أموت الآن.

غمغم بوارو ببعض كلمات يسري عنها، وعاد الدكتور يلح عليها بدخول أحد المصحات، فقالت: افعل ما بدا لك، فليس للأمر أهمية عندي. لقد أصبحت...

وبترت عبارتها إذ دخل الكابتن شالينجر إلى الغرفة مندفعاً كالريح الهوجاء وهو يصيح: ما الذي جرى؟ ما الذي حدث؟ لقد رأيت نفراً من رجال الشرطة في الحديقة فما الذي جرى؟ لقد قيل لي إن شخصاً قد مات، فهل هذا صحيح؟ ومن الذي مات؟ إنها ليست تاكي؟

كان صوته نابضاً بالقلق والانزعاج، وفجأة وقع بصره على الآنسة باكلي فهتف يقول: تاكي، تاكي! أنت بخير إذن؟ لقد حسبت أنك أنت التي...

فأجابته تاكي: إن صديقتي ماغي هي التي ماتت.

بان الحزن في وجه الضابط البحار وغمغم: المسكينة ماغي! ثم أخذ بذراع الآنسة باكلي وغادرا الغرفة. وكان واضحاً في هذه اللحظة لكل من في القاعة إن الكابتن شالينجر متيم بتاكي حباً وغراماً.

* * *

الفصل التاسع

لا يمكن أن أنسى الليلة التي أعقبت هذه الأحداث. لقد كانت عند بوارو ليلة مفجعة لا تحتمل، فطوال الليل وهو يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ويصب على نفسه اللعنات بصوت مسموع وهو يقول: إن غروري هو الذي قتل هذه الفتاة المسكينة! لقد كنت أظن أن مجرد ظهوري على مسرح الأحداث كفيل بإرهاب القاتل الخفي فينزوي مرتعباً ويحجم عن ارتكاب جرائمه، ولكن ها هو قد أقدم على قتلها تحت سمعي وبصري. لقد استطاع أن يقتل تاكي برغم الإجراءات التي اتخذتها.

وخيل إليّ أن بوارو قد أخطأ في ترديد الاسم لفرط اضطرابه فقلت مصححاً: إنك تعني طبعاً الآنسة ماغي؟

- بل أعني الآنسة تاكي، الآنسة باكلي.

- لكن التي قُتلت هي ماغي وليست الآنسة باكلي.

- هل يغير هذا من الواقع شيئاً؟ لقد كانت الآنسة باكلي هي المقصودة، أما مقتل ماغي فجاء مجرد صدفة عابرة. إن إهمالي هو السبب في مصرعها، ولا شك أن القاتل المجهول سيعاود الكرّة.

فقلت أحاول أن أرفه عنه: إنه لن يجرؤ على هذا بعد أن ظهرت أنت على مسرح الأحداث.

- شكراً لك على هذا الثناء يا عزيزي هيستنغز. ثم أردف: إن بوارو لن يخطئ مرة أخرى.

- إذن فأنت تعتقد أن الآنسة باكلي مستهدفة للخطر؟

- بكل تأكيد، ولقد استقر رأيي على أن أدخلها أحد المصحات.

- أترى أن الصدمة أدت بها إلى الانهيار العصبي؟

- انهيار عصبي؟ كلا يا صديقي؛ إنها فتاة شجاعة ذات جَلَد وقوية الأعصاب، ولكن دخولها المصح مجرد إجراء من إجراءات الأمن. إن وجودها في المصح هو الوسيلة الوحيدة التي ستنأى بها عن مواطن الخطر، فهي هناك ستكون تحت رقابة صارمة ولن يسمح لأحد بمقابلتها، حتى أصدقاؤها سيحرم عليهم لقاؤها.

فقلت بشيء من التوجس والاعتراض: لكنك لن تستطيع أن تبقيها في المصح إلى الأبد.

- هذا صحيح، ولكنني في حاجة إلى فسحة من الوقت أدبر فيها أمري. إن مهمتي تقتضي أمرين: أولهما أن أحمي الآنسة باكلي وأن أنقذ حياتها، وثانيهما أن أطارد القاتل وأكشف سره.

- ولكنها ليست بالمهمة الهينة. أتراك تعتقد أن القاتل شخص مخبول العقل؟

- لا يا صديقي، بل العكس هو الصحيح.

فعدت أتساءل: وهل تعتقد أن المجرم واحد من أصحاب الآنسة باكلي الذين يحفّون بها؟

- هذا اعتقادي. نعم، القاتل واحد من شلتها.

فاعترضت قائلاً: ولكن هذا لا ينطبق على جريمة الليلة، فقد كانوا جميعاً حولها ولم يبتعدوا عنها لحظة واحدة.

- ومن أين لك هذا يا عزيزي؟ أتستطيع أن تؤكد أن أحداً منهم لم يتسلل بعيداً بضع دقائق لكي يطلق الرصاص ثم يرتد عائداً إلى الجماعة دون أن يفطن أحد إلى أمر؟

- الواقع أنني لا أستطيع أن أجزم بمثل هذه الشهادة. لقد كانت ليلة مظلمة وأصدقاؤها يروحون ويغدون، ولكني أستطيع أن أقرر أن السيدة رايس ولازاروس وأنت أيضاً لم تبرحوا مكانكم لحظة واحدة، وكذلك السيد كروفت والسيد فيز، وإن كانا قد غابا عن بصري لحظات من وقت لآخر.

قال له بوارو: لو أن أحدهما هو القاتل لاستطاع أن يتعقب الفتاتين في لحظات تغيبه عن الجماعة فيتوارى وراء أحد الخمائل ويطلق الرصاص على الآنسة باكلي ثم يعود إلى مكانه دون أن يفطن أحد إلى الأمر. إنه طبعاً لم يطلق الرصاص على الآنسة باكلي وإنما على من حسبها الآنسة باكلي لأنها كانت تتدثر بشالها الأحمر، لقد أطلق عليها ثلاث رصاصات.

- لكن كيف؟ ألم يخشَ أن يسترعي دوي الرصاص الأسماع؟

- لقد اختلط دوي الرصاص بدوي انفجارات الألعاب النارية.

- هل عثرت على المسدس الذي استخدمه القاتل؟

- حتى الآن لا، وهذه قرينة جديدة على أن القاتل ليس شخصاً غريباً عن المكان. ثم تابع: إننا متفقان طبعاً على أن اختفاء مسدس الآنسة باكلي من درج مكتبها كان الغرض منه إظهار مصرعها في صورة انتحار؟

- هذا صحيح.

- أما الآن فقد انتفى هذا الغرض؛ فالقاتل يعلم أننا لم نُخدع بالظواهر.

- أنت على حق في هذا، ولكن ما الذي فعله بسلاح الجريمة يا ترى؟

هز بوارو كتفيه في حيرة وقال: هذا ما لم أهتدِ إليه حتى الآن. إن البحر قريب منه على أية حال فلعله ألقاه فيه، أو هذا على الأقل ما كنت أفعله لو أنني كنت مكانه. وليس أسهل بعد هذا من أن يروح ويغدو أمامنا بوجه جامد خال من التعبير لا ينم عن شيء من الاضطراب.

ذكرت عندئذٍ وجه الخادمة إيلين ذات الوجه الجامد الذي لا يعبر عن شيء، وتساءلت في نفسي عما إذا كانت هي القاتلة. ورويت لبوارو فحوى الحديث الذي دار بيني وبين إيلين حين دخلت إلى البيت لأخطر الشرطة تليفونياً بالجريمة التي ارتكبت فقال بوارو: إذن فقد كانت إيلين تعتقد أن الآنسة باكلي هي التي قُتلت وليست ماغي.

- تماماً، فعندما قلت لها إن ماغي تعرضت لحادث سألتني عما إذا كنت متأكداً أنها ماغي وليست الآنسة باكلي.

قال بوارو: هذا عجيب. إن ذلك يجعلني أتساءل عمن تكون إيلين هذه؟ أيمكن أن تكون...

وقاطعته بقولي: إن في مقدور امرأة كإيلين مثلاً أن تطلق الرصاص، ولكن الأحداث الأخرى لا يمكن أن تقوم بها امرأة. إن زحزحة الصخرة من مكانها تحتاج إلى شخص مفتول العضلات.

- لا يا صديقي، إذ يكفي أن يستعمل هذا الشخص رافعة لكي يزحزح صخرة ثقيلة. ثم استطرد بوارو قائلاً محاولاً أن يحدد معالم البحث: إن الذي اقترف جريمة الأمس لا بد أن يكون واحداً من الذين كانوا حاضرين ليلة أمس في بيت الرعب، ولكن يجب أن أستبعد عدداً كبيراً منهم، فإن معظمهم لا يعرفون ربة الدار إلاّ معرفة عابرة، ولذلك يجب أن أحصر نطاق شكوكي فيمن هم على صلة وثيقة بها.

- لقد كان شارل فيز حاضراً ليلة أمس.

- أنا أرتاب فيه أكثر من سواه، فإن دافع القتل متوفر لديه. والدافع هو الأساس الذي يجب أن يستند إليه بحثنا، فما هو الدافع إلى هذه الجريمة؟ هذا ما يجب أن نهتدي إليه.

وران علينا الصمت لحظة ثم تابع بوارو قائلاً: نعم، يجب قبل كل شيء أن نكتشف الدافع إلى الجريمة، فمن الذي يهمه أن يتخلص من الآنسة باكلي؟ لقد استعرضت جميع الاحتمالات ومع ذلك فما زال يكتنفني الغموض. وبعد صمت قصية عاد

يقول: فلنستعرض أولاً مسألة جد تاكي. هذا الجد كان مدمناً للقمار، وقد جلب عليه القمار الخراب كما قيل، ولكن فلنوجه إلى أنفسنا هذا السؤال: أليس من المحتمل أنه جمع ثروة كبيرة وخبأها بطريقة ما، ثم تظاهر بأنه فقير لا يملك شيئاً؟ أليس محتملاً أن يخبئ هذه الثروة في ركن خفي في بيت الرعب؟ ولهذا سألت الآنسة باكلي عما إذا كان أحدٌ قد عرض عليها أن يشتري منها البيت.

فقلت معترضاً: هذا صحيح، ولكن الرجم بالغيب قد يصيب أحياناً كبد الحقيقة.

استطرد: وقد فكرت في والد تاكي. لقد كان رجلاً مولعاً بالرحلات والأسفار، فلنفرض أنه ذهب إلى الصين أو بلاد المشرق فسرق جوهرة نادرة أو تحفة مقدسة رآها في أحد المعابد، فانطلق في أعقابه بعض المتعصبين الدينيين لكي ينتقموا من ابنته؟ وثمة فرض آخر، أليس من المحتمل أن يكون أبوها قد تزوج للمرة الثانية ورزق ولداً لا يعلمون عنه شيئاً، أي أن هناك وارثاً آخر يمكن أن تؤول إليه التركة خلاف شارل فيز، فإذا أزيحت تاكي من الطريق آلت الثروة إلى هذا الوارث المجهول؟

ومضى بوارو في حديثه قائلاً: إنني لم أدع احتمالاً إلا فكرت فيه، بل لقد فكرت أيضاً فيما ذكرته الآنسة تاكي عن لازاروس وكيف أنه عرض عليها شراء لوحة جدها الموجودة لديها بخمسين جنيهاً، مع أنها لا تساوي -على أحسن الفروض- أكثر من عشرين جنيهاً. فما الذي جعل لازاروس الخبير بالتحف واللوحات يعرض في صورة تافهة عادية ثمناً مضاعفاً؟ أليس من

المحتمل أن هذه اللوحة تساوي -في الواقع- ألوفاً من الجنيهات ونحن لا ندري؟ لقد أبرقت أدعو خبيراً فنياً لتقدير قيمتها.

- إذن فأنت تعتقد أن لازاروس قد يكون هو القاتل؟

لم يجب بوارو على سؤالي وإنما قال: ترى هل لازاروس غني كما يحب أن يدّعي؟ إن الظواهر قد تكون خدّاعة في بعض الأحيان. ما يدرينا أن متجر التحف الذي يملكه في طريقه إلى الإفلاس؟ وحين اكتشف أن لوحة الجد نادرة وباهظة الثمن قرر أن يشتريها، وإذ رفضت صاحبتها بيعها قرر أن يزيحها من الطريق ليشتريها بعد ذلك من الوريث الجديد؟

تنهد بوارو وغمغم: نعم، يجب أن أكتشف الدافع إلى الجريمة. إن هناك كما ترى عشرات من الدوافع، فأيها الحقيقي؟ لو أنني جلوته لعرفت القاتل على الفور. والآن فلنتناول الموضوع من زاوية أخرى... وغرق بوارو برهة في التفكير ثم تابع يقول: السؤال الذي يدور في ذهني الآن هو: من الذي يستفيد بطريقة مباشرة من موت الآنسة باكلي؟ لنبدأ أولاً بالسيد شارل فيز، إن بيت الرعب بكل تأكيد لا يساوي إلا قدراً ضئيلاً من المال، ولكنه إذا استطاع أن يسدد قيمة الرهن أمكنه أن يهدم البيت وأن يقسّم الأرض قطعاً صغيرة يقيم عليها العديد من الفيلات، وبذلك يظفر بربح جسيم. والمستفيد الثاني هو صديقتها السيدة رايس، فقد أوصت لها الآنسة باكلي بجزء من ثروتها. والآن لنفترض أن الحقد هو الدافع إلى القتل، أعني الجريمة ذات الدافع العاطفي. لقد عرفنا من السيدة كروفت أن شارل فيز والكابتن شالينجر كلاهما يهيمان بالآنسة باكلي، فهل رأى فيز أن يقتلها حتى لا تتزوج غريمه الضابط البحري؟ أو أن العكس

هو الصحيح؟ لعل شالينجر يعتقد أن شارل هو الذي سيفوز بمحبوبته فقرر أن يقتلها حتى لا يظفر بها أحد سواه. إن الغيرة قد تدفع المرء إلى تصرفات جنونية؛ ألا تذكر عطيل في رواية شكسبير؟ لقد قتل حبيبته بسبب شدة غرامه بها!

وغرق بوارو في خواطره ثم تابع يقول: قد تكون الغيرة القاتلة صادرة عن امرأة، أعني أن المجرم قد تكون امرأة لا رجلاً. امرأة تهوى الكابتن شالينجر وترى أنه متيم غراماً بحب باكلي فقررت أن تزيحها من الطريق حتى يخلو لها الجو. لنأخذ السيدة رايس مثلاً، أليس من المحتمل أن تحب الكابتن شالينجر وترى الآنسة باكلي منافسة خطرة؟

- إذن أنت تعتقد أن السيدة رايس...

فقاطعني بوارو: أنا لا أعتقد شيئاً. كل ما هنالك أنني أدرس جميع الفروض والاحتمالات.

ثم تناول ورقة من جيبه وأخذ يسطر عليها بعض العبارات، فسألته ماذا يفعل، فقال إنه يسجل خواطره ويحصر الشبهات التي تدور في رأسه. وبعد قليل دفع إليّ بالرقعة قائلاً: اقرأها ثم كاشفني برأيك.

كان مكتوباً على الرقعة قائمة بالأسماء التالية: (١) إيلين (٢) زوجها البستاني (٣) ابنهما (٤) السيد كروفت (٥) السيدة كروفت (٦) السيدة رايس (٧) السيد لازاروس (٨) الكابتن شالينجر (٩) السيد شارل فيز... (١٠) شخص مجهول.

وفي أعقاب هذه القائمة من الأسماء خطّ بوارو الملاحظات التالية:

(١) إيلين: ظروفها تثير الشبهات وتصرّفها وحديثها عقب معرفتها بوقوع الجريمة، اختفاء المسدس من درج المكتب وهي أقرب الناس إلى سهولة الاستيلاء عليه لأنها من أهل المنزل. وينفي عنها الشك صعوبة عبثها بفرامل السيارة، فهو عمل فني من المستبعد أن تتقنه. أما الدافع فلا شيء على الإطلاق، إلاّ إذا كان هناك باعث خفي مجهول حتى الآن. يجب التحري عن ماضيها.

(٢) زوجها البستاني: في استطاعته أن يعبث بفرامل السيارة ويفسدها، يجب استجوابه.

(٣) ابنهما: لا يجب استبعاده، بل يجب استجوابه فقد يدلي بكلمات بريئة تنير الطريق.

(٤) السيد كروفت: لا شيء ضده إلاّ أن باستطاعته دخول البيت بسهولة. كان تعليله لاقتحام البيت بسيطاً ومعقولاً، فهل كان كاذباً أو صادقاً؟ ترى هل هو الذي استولى على المسدس؟ يجب التحري عنه. ليس لديه دافع للقتل.

(٥) السيدة كروفت: ليست موضعاً للاشتباه، ليس لديها دافع لارتكاب الجريمة.

(٦) السيدة رايس: ظروفها تدعو للشبهة. طلبها من تاكي أن تأتيها بمعطفها، فهل ذلك ذريعة لكي تجعلها تجتاز الحديقة المظلمة حتى تكون هدفاً للقتل؟ اتهامها تاكي بالكذب وأنها تلفق كذباً ادعاءاتها عن الاعتداءات التي استهدفت لها. ادعاؤها كذباً أنها كانت موجودة في بلدة تافيستوك. الدافع: هل الهدف الربح، أو الغيرة؟ ذلك محتمل ولكن السبب غامض. يجب أن

أستدرجها في الحديث عن الآنسة باكلي، فقد يزل لسانها بشيء مفيد. هل تريد أن تتزوج الكابتن شالينجر أو لازاروس؟

(٧) السيد لازاروس: ظروف مشبوهة. غرضه شراء لوحة الجد، ادعاؤه أن فرامل السيارة كانت سليمة، فهل ذهب إلى ناحية البحر قبل يوم الجمعة، أي قبل انهيار الصخرة؟ يجب التحري عن مكان وجوده قبل حضوره إلى سانت لو. التحري عن حالته المالية. ليس له دافع إلاّ محاولته شراء الصورة، فهل الخوف هو الدافع؟ إنه أمر بعيد الاحتمال.

(٨) الكابتن شالينجر: ليست هناك أي شبهة ضده. كان موجوداً في منطقة الأحداث طوال الأسبوع السابق لوقوعها، من المحتمل أنه يعرف طبيعة هذه الأحداث. وصل بعد نصف ساعة من وقوع الجريمة، ليس لديه دافع لارتكابها.

(٩) السيد شارل فيز: الشبهات قائمة ضده. كان متغيباً عن مكتبه ساعة إطلاق الرصاص على تاكي في حديقة الفندق، وإنكاره أنه ليس من أحد عرض عليه شراء بيت الرعب وأحاديثه المتسمة بالحيطة والحذر. يسهل عليه أن يستولي على المسدس من درج المكتب لأن بإمكانه التردد على البيت. الدافع: هل هو الربح؟ هذا أمر مشكوك فيه، الحب أم الحقد؟ محتمل. هل هو الخوف؟ هذا أيضاً جائز. يجب التحري عن حقيقة الرهينة وعن حالته المالية.

(١٠) الشخص المجهول: من المحتمل أن يكون هناك شخص آخر مجهول هو القاتل المجهول. إنه دون شك شخص غريب ولكن له صلة بأحد من الجماعة المتصلة بالآنسة باكلي. قد يكون على صلة بإيلين فكانت تعلم منه أنه سيقتل الآنسة

تاكي، ولعل ذلك هو سبب دهشتها حين عرفت أن القتيلة هي ماغي. لعله على صلة بالسيد كروفت وزوجته، وربما كان ذلك السبب في استئجاره البيت؟

حين فرغت من قراءة الرقعة التي كتبها بوارو تحول إليّ قائلاً: لقد ضمّنت الورقة كل ما يدور في فكري من خواطر وشبهات، فما رأيك؟

- لقد دونتَ فيها كل ما يخطر بالبال من احتمالات.

- هذا صحيح، ولكن الشخص الذي أركز عليه انتباهي الآن هو السيد شارل فيز، فما رأيك؟

- رأيي أنه أشد المشبوهين تعرضاً للاشتباه.

- يبدو أنك مولع بقراءة الروايات البوليسية. ولكن يجب أن تعلم يا عزيزي أن الشخص الذي تحوم حوله الشبهات والقرائن قد يكون المشبوه البريء. وسكت بوارو لحظة ثم قال فجأة: والآن عليك يا عزيزي هيستنغز أن تأوي إلى فراشك وتأخذ قسطاً من النوم، ولندع التفكير في جلاء هذا اللغز إلى الغد.

كنت في الواقع متعباً فنهضت واقفاً وأنا أقول: وأنت؟ ألا تنوي أن تنام؟

فأجاب في اقتضاب: إنني أفضل أن أقضي ليلتي في هذا المقعد، فإن الفراش يقتل فيّ كل قدرة على التفكير.

نظرت إليه باستغراب ثم غادرت الغرفة، وتركت بوارو ورائي غارقاً في المقعد الكبير.

* * *

الفصل العاشر

عندما صحوت من النوم صباحاً وجدت بوارو لا يزال جالساً في مقعد الفوتيل الكبير وبوادر الإرهاق بادية في سمات وجهه، إذ يبدو أنه لم يغمض له جفن طوال الليل، بيد أن عينيه كانتا تبرقان بطريقة لم أعهدها، فأقبلت عليه أقول: أتراك كشفت شيئاً؟

فمال إليّ بجسده قائلاً: اسمع يا صديقي، هل لك أن تجيب على هذه الأسئلة الثلاثة: أولاً: لماذا كانت الآنسة باكلي تعاني قلقاً في الأيام الأخيرة؟ ثانياً: لماذا كانت ترتدي ثوباً أسود اللون مع أن المعروف عنها أنها تمقت هذا اللون؟ ثالثاً: لماذا قالت ليلة الأمس: إن كان أحد يريد أن يقتلني فليتقدم إن شاء فلست أبالي الآن بأن أموت.

نظرت إليه في شيء من الدهشة، فقد بدا لي أن تلك الأسئلة خارجة عن نطاق الجريمة التي نحن بصددها، وقلت محاولاً أن أجيب على الأسئلة الثلاثة: أما عن السؤال الأول، فقد كانت تعاني القلق بسبب الاعتداءات التي كانت هدفاً لها.

فعقب بوارو معترضاً على رأيي: هل غاب عنك أنها لم تفطن إلى أنها هدف لأية اعتداءات، بل كانت تحسب أن هذه

الأحداث مجرد حوادث عارضة؟ لقد كانت تعاني قلقاً، فما سبب مصدره؟

- الحق أنني لا أدري. أما عن السؤال الثاني، فإنها ارتدت ثوباً أسود رغم كراهيتها لهذا اللون حباً في التغيير؛ إن المرأة مولعة دائماً بالتغيير والتبديل.

- لكن لماذا في هذا الوقت بالذات؟

- أما السؤال الثالث فإجابتي عنه أنه لا غرابة في أن تتمنى الآنسة تاكي الموت الآن بعد أن تسببت في مصرع صديقتها ماغي.

قال بوارو: لقد كان من أثر مصرع صديقتها أن أصيبت بالرعب ثم الندم، ولكن لهجتها وهي تردد تلك العبارة كانت متسمة باليأس من الحياة، فلماذا يستبد بها القنوط وهي شابة مرحة في عنفوان شبابها؟ لا بد أن هناك سبباً آخر.

فأجبت: لا أدري، ليس لديّ أي تعليل غير ما قلت.

وسألني بوارو: متى رأينا الآنسة باكلي لآخر مرة قبل مصرع صديقتها؟

- على مائدة العشاء فيما أذكر.

- تماماً، ثم نهضت فجأة عن المائدة وذهبت إلى البيت فتغيبت عشرين دقيقة بحجة أنها كانت تتحدث في التليفون، فهل تتخلى عن ضيوفها عشرين دقيقة لكي تتحدث تليفونياً؟ ثم مع من كانت تتحدث؟ فهل لاحظت أنها كانت شاحبة شاردة الذهن بعد عودتها؟ فما الذي حدث خلال العشرين دقيقة؟

أعتقد أن جلاء هذه النقطة هو بداية الطريق لإماطة اللثام عن الجريمة التي نحن بصددها.

- حقاً؟ أهذا رأيك؟

- نعم يا صديقي، لقد قلت لك أكثر من مرة إن الآنسة تاكي تخفي عني سراً لا تريد أن تفصح عنه، وهذا السر هو مفتاح اللغز في اعتقادي. إنها تكتم شيئاً، وهذا الشيء هو الذي سيهديني إلى الطريق الصحيح، ولهذا فإن الإجابة على هذه الأسئلة الثلاثة هي التي أسعى الآن وراءها.

قلت لصديقي بوارو: ألا ترى أنه يحسن بنا أن نتناول الفطور وكوباً من القهوة عله يشحذ ذهنك؟

رد بوارو: صدقت يا عزيزي، فقد كاد ذهني أن يكل وتفتر حدته.

* * *

فرغنا من تناول القهوة ومضيت أتصفح صحف الصباح، وكانت أنباؤها فاترة راكدة ليس فيها ما يثير إلاّ ما رددته عن تأكيد وفاة الطيار الشاب مايكل سيتون أثناء محاولته عبور الأطلنطي. وإذ كنت جالساً في قاعة الاستقبال أقبلت عليّ السيدة فريدي رايس تقول: أريد أن أتكلم مع السيد بوارو، فهل تعرف أين يمكن أن أجده؟

ومضيت بها إلى التحري الكبير، فنهض يحييها في احترام ودعاها إلى الجلوس. وبعد صمت قصير حزمت أمرها على أن تفضي بما جاءت من أجله. قالت: أعتقد يا سيد بوارو أن

ماغي لم تكن هي المقصودة، إذ لا شك عندي في أن القاتل كان يستهدف تاكي.

فقال بوارو: وهذا رأيي يا سيدتي.

- إذن فقد نجت بمعجزة؟

- هذا صحيح، ولكن القاتل سيحاول حتماً أن يعيد الكرة، فهل سيحالفها الحظ مرة أخرى؟

- إننا لا نملك أن نهرب مما هو مقدر علينا.

ومن جديد لاذت السيدة رايس بالصمت، ثم عادت تقول: الواقع إنني كنت أعتقد في البداية أن الاعتداءات التي تعرضت لها تاكي كانت مجرد أوهام من نسج خيالها.

فتساءل بوارو: والآن ما رأيك؟

- الآن عرفت أنها كانت على حق ولم تكن واهمة فيما زعمت. وقطبت السيدة رايس جبينها وقالت في كلمات سريعة: لقد وجهت إليّ سؤالاً من قبل وقد كذبت عليك، لقد سألتني عن مكان وجودي قبل حضوري إلى سانت لو فقلت لك إنني كنت في تافيستوك، ولكن الحقيقة أنني لم أذهب إلى تلك البلدة.

- حقاً؟ لقد خطر ذلك فعلاً بذهني.

- لقد جئت إلى المنطقة في الأسبوع الماضي بالسيارة برفقة السيد لازاروس. وقد أردنا أن نتحاشى القيل والقال فنزلنا في فندق صغير يسمى شيلاكوم.

فعقّب بوارو: أي على مسافة عشرة كيلومترات من هذا المكان إذا لم أكن مخطئاً.

- تماماً، نحو ذلك.

قال بوارو: أتسمحين لي يا سيدتي بسؤال قد ينطوي على شيء من الحرج؟ ثم استطرد دون أن ينتظر منها أن تأذن له: منذ متى بدأت العلاقة بينك وبين السيد لازاروس؟

- لقد تعرفت به منذ ستة شهور.

- وهل تحبينه يا سيدتي؟

هزت كتفها بغير اكتراث وأجابت باقتضاب: إنه غني واسع الثراء.

- إذن فهذا سبب تعلقك به؟

- ولماذا أنكر وأنت من الذكاء بحيث لا يمكن أن تخفى عنك الحقيقة؟

- إنني أحيي فيك شجاعتك وصراحتك يا سيدتي.

ثم نهضت واقفة قائلة: والآن هل تسمح لي بالانصراف؟ فهذا كل ما أردت أن أكاشفك به. إنني ذاهبة لأبعث بباقة الورد إلى المسكينة تاكي.

* * *

مال إليّ بوارو يقول عقب انصرافها: إنها امرأة ذكية ولكنها لا تعلم أن هيركيول بوارو أذكى منها.

فقلت متسائلاً: ماذا تعني بهذا؟

- إن هدفها الوحيد من هذا الحديث هو أن تقنعني بأن لازاروس غني واسع الثراء، وما دام لازاروس صديقها الكفيل بنفقاتها فإنها لا يمكن أن تقدم على قتل صديقتها تاكي.

فسألته: وما دام الأمر كذلك فلماذا أصدرت أوامرك إلى المصح بأن لا يسمح لأحد من أصدقائها بمقابلتها، حتى ولا السيدة رايس؟

فابتسم بوارو وقال: هذا نظام المصح، فالمقابلات ممنوعة منعاً باتاً، وحسبي أن لا أترك أي إهمال يا عزيزي هيستنغز. إنني أريد أن أتخذ أشد الأساليب حيطة وحذراً.

وفجأة أقبل علينا شالينجر مندفعاً كالعاصفة وابتدرنا قائلاً في انفعال: ما معنى هذا يا سيد بوارو؟ لقد اتصلت تليفونياً بالمصح الذي نزلت فيه الآنسة تاكي فأبلغوني أن الزيارة ممنوعة منعاً باتاً. إنني أريد أن أعرف السبب، فهل أنت الذي أصدرت هذا الأمر؟ هل تاكي مريضة حقاً إلى الحد الذي يقتضي منع الزيارات؟

وبهدوء أجابه بوارو: ليس من عادتي يا عزيزي الكابتن أن أدلي بمعلومات عن نزلاء المصحات، فلماذا لا تتصل بالدكتور جراهام لتستفسر منه عما تشاء؟

- لقد اتصلت به فلم أتلقّ منه إلا إجابات ملتوية. أنا خبير بحيل الأطباء وألاعيبهم، فإن عمي طبيب أعصاب من مشاهير الأطباء في شارع هارلي، وأنا أعرف أن بعض الناس يتفقون مع بعض الأطباء على التخلص من أقربائهم بإيداعهم المصحات بحجة أنهم مصابون بانهيار عصبي. فهل أنت الذي دبرت كل هذا يا سيد بوارو؟

ابتسم بوارو ابتسامة لطيفة إزاء ثورة هذا العاشق الثائر وقال: استمع إليّ يا صديقي، إذا أنا سمحت لك أن تزور الآنسة باكلي فكيف يتسنى لي أن أصد عنها سائر أصدقائها؟ أنت طبعاً تريد مني أن أتخذ كل حيطة وأن أرد عن الآنسة باكلي أي خطر محتمل، ومنع الزيارات منعاً مطلقاً هو وسيلتي إلى ذلك.

فأومأ الكابتن شالينجر برأسه قائلاً: الآن فهمت ما ترمي إليه، أنت على حق يا سيدي.

فقال بوارو: إن الحيطة واجبة في مثل هذه الظروف، ألا ترى ذلك؟

- أصبت يا سيدي، أصبت.

واستدار منصرفاً، لكنه لم يمشِ خطوات حتى رجع إلى بوارو متسائلاً: وهل الحظر يا سَيدي أيضاً على باقات الزهور؟

فابتسم بوارو وأجابه في رقة: إن لك أن تبعث إليها بما شئت من باقات الزهور.

والتفت إليّ بوارو بعد انصراف شالينجر قائلاً: إنهم جميعاً في متجر الزهور؛ السيدة رايس ولازاروس وشالينجر، فهيا بنا نبادر بالذهاب إلى المصح.

قلت له ونحن نهم بمغادرة الفندق: والأسئلة الثلاثة التي تشغل ذهنك، أما تنوي أن تقوم بمزيد من التحريات لتعرف الإجابة عليها؟

فقال بوارو: لقد اهتديت إلى الجواب وما من حاجة إلى

مزيد من التحريات.

- حقاً؟ وما هي هذه الإجابات.

ردّ باقتضاب أثارني: فيما بعد يا عزيزي هيستنغز، لا تتعجل الأمور.

وانطلقنا إلى المصح.

* * *

استقبلتنا الآنسة تاكي بترحاب شديد. وقال لها بوارو: أنت تعرفين طبعاً أنني أودعتك هذا المصح لأحميك من كل محاولة للاعتداء عليك، وفي هذه الفترة سأكرس جهودي لاكتشاف القاتل فلا تتعجلي مغادرة المصح.

فأومأت برأسها موافقة، واستطرد بوارو: والآن أرجوك يا عزيزتي أن تصارحيني بكل ما في نفسك. إنك تخفين عني شيئاً، لقد كنت قلقة ومضطربة خلال الأيام الأخيرة، فما سر هذا القلق؟ إن هذا الشيء الذي تخفينه عني قد يكون هو مفتاح اللغز.

امتلأت عينا الفتاة بالدموع ثم انفجرت تقول: سأتكلم، سأقول كل شيء... ثم أردفت بصوت متهدج: لا شك أنك قرأت في الصحف نبأ سقوط طائرة مايكل سيتون عند محاولته عبور الأطلنطي؟ إذن فيجب أن تعرف أن مايكل كان خطيبي، وقد مات الآن، فكيف لا ينتابني الحزن والقلق؟

* * *

الفصل الحادي عشر

التفتّ إلى بوارو قائلاً: يبدو أن هذا ما كنت تفكر فيه.

فأجاب: نعم، هذا هو السر الذي توقعت أن تكون الآنسة تاكي قد أخفته عني، وقد صحّت ظنوني.

قالت تاكي: لقد عرفت ليلة أمس أن موت خطيبي قد ثبت ثبوتاً قاطعاً، فعندما كنا نتناول العشاء انسحبت لأتصل تليفونياً بإحدى الصحف لأستفسر عن الحقيقة.

فقال بوارو: وكان ذلك عندما ذهبت إلى البيت لتأتي بمعطف السيدة رايس؟

- تماماً، وما إن سمعت النبأ حتى أغمي عليّ، فلما استرددت وعيي كانت ماغي قد انصرفت. يبدو أنه خلال فترة إغمائي كانت لا تفتأ تنادي وتسألني عن معطفها، فلمّا لم أجب على ندائها أخذت شالي الأحمر وتدثرت به، وعندما أفقت من إغمائي تريثت برهة ثم غادرت البيت لألحق بضيوفي.

قال بوارو: يا لك من فتاة مسكينة!

- لقد عصف بي اليأس وتمنيت ساعتها لو أنني مت وقضيت نحبي.

فقلت: إننا نقدر شعورك يا آنسة.

وقال بوارو: لقد مرّت بنا جميعاً في شبابنا مثل هذه المحن والتجارب، ولكن الزمن كفيل بمحو الجراح.

- لعلك تريد أن تقول إنه سيأتي يوم أنسى فيه مايكل وأتزوج رجلاً غيره؟ محال، محال أن أنسى الرجل الذي أحببته من أعماق قلبي.

فقال بوارو: لا، فما قصدت هذا وإنما أردت أن أقول إنه سيحل يوم تفخرين فيه ببطولته وبأنك قد أحببت مثل هذا البطل الشجاع. ثم أردف يسألها: هلا أخبرتني كيف تعرفت به؟

- لقد التقيت به في توكويه في شهر سبتمبر الماضي، أي منذ سنة تقريباً.

- متى تمّت الخطبة؟

- بعد عيد الميلاد مباشرة، ولكننا تكتمنا الأمر وأخفيناه.

- وما سبب هذا التكتم؟

- حتى لا نغضب عم مايكل، أعني السير ماثوي سيتون، فقد كان رجلاً عزوفاً عن النساء يؤمن أن المرأة إن اقتحمت حياة الرجل أفسدتها وقضت على طموحه. إن السير ماثوي هو الذي يعول مايكل وقد رصد له مرتباً كبيراً، كما أنه الذي يموّل مشروعه الخاص باجتياز الأطلنطي، فإذا عرف أن هناك امرأة في حياة ابن أخيه وأنه قد خطبها فلا شك أنه سيحبس عنه المال، بل إنه قد يوصي بحرمانه من ثروته، لذلك اتفقنا أنا ومايكل على أن نجعل خطوبتنا سراً، فإذا ما نجح في اجتياز الأطلنطي

بطائرته كاشف عمه بأنه يحبني، ولا شك أن عمه لن يعترض على زواجنا مكافأة له على بطولاته. وقد كتمت سرّي عن الناس جميعاً، وحتى عن فريدي مع أنها أعز صديقة لي.

فغمغم هيركيول: ألا ليتك صارحتني بهذا السر منذ البداية! ولم ينتظر الجواب عن سؤاله وإنما سألها: ترى هل أفضيت للسيدة رايس بهذا السر بعد موته؟

- لا، لقد كتمته عن الجميع براً بوعدي لمايكل.

- في الأيام الأخيرة عندما أخذت الصحف تردد أنه يحتمل أن يكون قد مات، أي عندما استولى عليك القلق، ألم تلمّحي أمام السيدة رايس أن مايكل خطيبك؟

فقالت تاكي: لا، لم ألمّح مطلقاً إلى شيء من هذا.

- لكنك طبعاً كنت تكثرين من التحدث عن مايكل سيتون في فترة اختفاء طائرته؟

- هذا صحيح، فطالما رددت اسمه أمام فريدي.

- طبعاً كان الحزن مرتسماً على وجهك وأنت تتحدثين عنه، فمن المحتمل أنها استشفت ما يطويه قلبك؟

- هذا محتمل، فإن فريدي امرأة ذكية.

عاد يسألها: وما علاقتك بابن عمك شارل فيز؟

- نحن على وئام، وقد أراد أن يخطبني ولكنني رفضت، فأنا مولعة بالسفر والرحلات والحياة المرحة، فكيف أتزوج رجلاً من طرازه مولعاً بحياة الريف والاستقرار؟

- إذن فهو يحبك؟

قالت: ربما كان يحبني ولكنه لا يفتأ ينتقد سلوكي وأسلوبي في الحياة، غير أنه يؤمن بأن في استطاعته أن يغير مشاربي إذا تمّ زواجنا.

بعد صمت قصير قال لها: أرجوك يا آنسة أن تكوني على حذر، فإن القاتل ما زال طليقاً وهو دون شك سيكرر محاولته، فلا تتركي المصح لحظة واحدة ولا تستقبلي أحداً أبداً مهما كانت صلته بك.

فقالت تاكي: كن مطمئناً، فسوف أنفذ تعليماتك بكل دقة.

نهض بوارو يريد الانصراف، وعند الباب استدار إليها قائلاً: على فكرة، لقد أشرت مرة في حديثك معي إلى أنك قد حررت وصيتك، فأين هذه الوصية؟

- لا شك أنها في البيت في مكان ما.

- هل أودعتها خزانتك أو أحد الأدراج؟

فكرت الآنسة تاكي برهة ثم ردت: لا أذكر أين وضعتها، ربما كانت في أحد أدراج المكتب أو في خزانتي في غرفة النوم.

قال يستأذنها: أنا في حاجة للاطلاع على هذه الوصية، فهل تأذنين لي بأن أبحث عنها؟

- بكل سرور، لك أن تبحث عنها في أي وقت.

* * *

الفصل الثاني عشر

ما إن خرجنا إلى الطريق حتى سألت بوارو: أتعتقد أن للوصية التي سطرتها الآنسة تاكي علاقة بالاعتداءات التي استهدفتها؟

- هذه الوصية هي التي ستكشف لنا الدافع إلى ارتكاب الجريمة.

- لست أفهم ما ترمي إليه، لقد كنت أعتقد أن الغيرة هي أساس هذه الجريمة.

- كلا يا صديقي، إن المال هو أساسها.

ونظرت إليه مستفسراً فاستطرد يقول: أعرني سمعك يا صديقي؛ منذ أسبوع قضى السير ماثوي سيتون نحبه، ولعلك تجهل أن السير ماثوي فاحش الغنى، بل ربما كان أغنى رجل في إنجلترا.

فقلت موافقاً: لقد سمعت بهذا.

- ولهذا المليونير ابن أخ وحيد هو الطيار مايكل سيتون، فمن الطبيعي أن يوصي له بثروته الضخمة، وهذا أمر منطقي ما

دام يحبه. وفي يوم الثلاثاء ترددت أنباء عن وقوع طائرة الطيار الشهير وعدم العثور عليها، وفي يوم الأربعاء، أي في اليوم التالي مباشرة بدأت الآنسة تاكي تتعرض لاعتداءات متوالية. فلنفرض يا هيستنغز أن مايكل سيتون قد حرر وصية قبل قيامه برحلته الخطرة، فلصالح من يحررها؟ طبعاً سيوصي بثروته للمرأة التي يحبها، أعني للآنسة تاكي.

- هذا أمر منطقي، ولكنه لا يعدو أن يكون مجرد افتراض.

فقال بوار: هذا صحيح، ولكن الأرجح أن هذا الفرض هو الحقيقة الواقعة، وإلاّ لم يكن هناك أي معنى للأحداث التي حدثت.

مرت دقائق وأنا أتأمل نظرية بوارو، وانتهيت إلى أنه على حق فيما افترضه وإن كان الأمر مفتقراً إلى الدليل. وسألته: إذن فأنت تعتقد أن نبأ خطوبة مايكل وتاكي قد تسرب إلى شخص ما؟

- تماماً، هناك شخص مجهول عرف أنهما خطيبان، وطبقاً لما روته لنا الآنسة تاكي يمكننا أن نقول إن لدى السيدة رايس بعض الشكوك في هذا الشأن، وإذا استطردنا في التحليل يمكنني أن أقول إن فريدي عرفت عن يقين أنهما مخطوبان.

- لكن كيف تسنى لها أن تعرف هذا؟

- أولاً لا ريب أن مايكل وتاكي قد تبادلا العديد من الرسائل خلال فترة الخطوبة، وأعتقد أن السيدة رايس قد اطّلعت صدفة على بعض هذه الخطابات بأمر الخطبة.

فعدت أتساءل: ولكن كيف السبيل إلى اطلاعها على هذه الخطابات؟ إن الآنسة تاكي لا يمكن أن تطلعها على شيء من الرسائل وهي الحريصة على أن تبقي الخطبة سراً مكتوماً.

- إن الآنسة تاكي فتاة مهملة لا تعرف النظام والترتيب. ألم تلاحظ أنها لا تعرف أين وضعت وصيتها مع ما لهذه الوصية من أهمية؟ فلا ريب إذن أنها فعلت نفس الشيء برسائل مايكل سيتون، تقرأ الرسالة ثم تلقي بها في أي موضع دون اهتمام. لذلك أعتقد أن إحدى هذه الرسائل قد وقعت صدفة في يد فريدي فلم تتردد في قراءتها، وبذلك عرفت أمر الخطبة.

- لا ريب أنها عرفت أيضاً بأمر الوصية التي حررها مايكل لصالح خطيبته؟

- هذا محتمل جداً. لقد أخذت الحلقة تضيق كما ترى. هل تذكر قائمة الأسماء التي كتبتها وأطلعتك عليها؟ كانت تتضمن عشرة أسماء أحدها لشخص مجهول، والآن بعد هذه المعلومات الجديدة يمكنني أن أستبعد العديد من هذه الأسماء، فأولاً أستبعد من دائرة الشبهات الخدم جميعاً، ثم الكابتن شالينجر، وأستبعد أيضاً لازاروس وآل كروفت، فلا تبقى الأضواء بعد ذلك مسلطة إلا على اسمين فحسب.

فقلت: تقصد طبعاً فريدي رايس؟

- طبعاً، فقد حررت الآنسة تاكي وصية جعلت بمقتضاها صديقتها فريدي وريثة لها، ففيما عدا بيت الرعب سيؤول كل شيء إلى السيدة رايس، فلو أن تاكي هي التي قُتلت بدلاً من ماغي لأصبحت فريدي من كبار الأغنياء.

فتساءلت: وكيف هذا وثروة تاكي شيء تافه لا أهمية له؟

فضحك وقال: هل نسيت أن ثروة السير ماثوي الضخمة قد انتقلت إلى ابن أخيه الطيار، وبوفاة مايكل آلت الثروة التي ورثها عن عمه إلى خطيبته الآنسة تاكي؟

قلت معترضاً: لا أصدق أن تقدم السيدة رايس على مثل هذه الجريمة البشعة فتقتل أعز صديقة لديها.

- إنك تدافع عنها يا عزيزي هيستنغز لأنها امرأة جميلة فتنتك بحسنها، ومع ذلك فقد تكون على حق، إذ ما زال لدينا اسم آخر محل للاشتباه، وأعني به شارل فيز.

- لكنه لن يرث إلا بيت الرعب.

- ترى هل كان يعلم بأمر الوصية؟ لقد كان يعرف دون شك بوجود المسدس ومكانه.

فقلت مؤيداً الاتهام إلى شارل فيز: كما أنه رجل القوة الجسمانية، ما يعينه على زحزحة الصخرة.

- ألم أقل لك إن في وسع أي طفل أن يزحزح الصخرة إذا استعمل رافعة في دفعها؟ ثم هناك نقطة أخرى تضعف الاشتباه في شارل فيز، إنه رجل قانون، وصاحب العقلية القانونية لا يقدم عادة على العمل إلا إذا توفر لديه دليل حاسم، ووفاة مايكل سيتون الطيار لم تتأكد إلا أمس فقط.

ثم استطرد يقول: إن اشتباهي حتى اللحظة قاصر على السيدة رايس وشارل فيز، ومع ذلك فقد تكشف التطورات عن متهمين آخرين.

* * *

انتهينا من مسيرتنا أخيراً إلى مكان الصخرة التي كادت في يوم من الأيام أن تسقط فوق تاكي فتسحقها. وقف بوارو برهة يدرس المكان ويتأمله ثم مضينا في طريقنا متجهين إلى بيت الرعب، واستقبلتنا الخادمة إيلين بوجهها الجامد المألوف فاستفسرت منها عن صحة سيدتها.

سألها هيركيول فجأة: يبدو أنك دهشت أمس حين علمت أن الآنسة ماغي هي التي قتلت؟

- نعم يا سيدي، فهي فتاة ظريفة حلوة المعشر وليس هناك من يكرهها أو يحقد عليها.

فقال بوارو: ولكن يبدو أنك كنت تتوقعين أن تكون الآنسة باكلي هي الضحية؟

فنظرت إليه إيلين باستغراب ثم قالت: الواقع يا سيدي أن هذا المنزل مشؤوم يسوده جو من النحس، ولهذا كنت أتوقع أن تكون صاحبته هي القتيلة.

- متى التحقت بالعمل في هذا المنزل؟

- منذ ست سنوات يا سيدي.

- ترى هل سمعت صوت الطلقات النارية؟

- لا يا سيدي، فإن من الصعب على المرء أن يفرق بين دوي الرصاص وانفجارات الألعاب النارية.

عاد يسألها: ترى هل سمعت الآنسة ماغي وهي تنادي الآنسة باكلي تسألها عن معطفها وتخبرها أنها لم تعثر عليه؟

فردت إيلين: لقد سمعت وقع خطوات الآنسة تاكي وهي ترتقي الدرج راكضة إلى الطابق الأعلى والآنسة ماغي تتحدث إليها في البهو، ثم سمعت الآنسة ماغي تقول: فليكن إذن، سآخذ الشال.

- ألم تحاولي أن تبحثي عن المعطف أو تتأكدي إذا كان موجوداً في السيارة؟

- كنت منهمكة في عملي فلم يخطر لي أن أفعل هذا.

- لكنك طبعاً لم تكوني في الحديقة تشاهدين الألعاب النارية لحظة البحث عن المعطف؟

- قلت لك يا سيدي إنني كنت في المنزل أؤدي عملي.

بعد لحظة من السكوت سألها بوارو: سؤال أخير يا آنسة إيلين. ترى هل بلغك أن في هذا المنزل غرفاً سرية؟

- توجد في قاعة المكتبة خزانة صغيرة في تجويف الجدار، وإن كنت لا أذكر موضعها على وجه اليقين.

- ترى هل تتسع لكي يختبئ الإنسان داخلها؟

- لا يا سيدي، إنها مجرد مربع لا يزيد ضلعه على ثلاثين سنتيمتراً. ثم تضرج وجهها احمراراً وقالت: ما هدفك من وراء هذا السؤال يا سيدي؟ أخطر ببالك أنني كنت مختبئة في هناك؟ أقسم لك إنني كنت منهمكة في العمل، وسمعت الآنسة باكلي وهي تهبط الدرج ثم سمعتها تصرخ فخرجت إلى البهو ورأيت ما حدث.

* * *

الفصل الثالث عشر

بعد أن انصرفت إيلين قال لي بوارو: الذي يحيرني هو السبب الذي جعل إيلين تلزم الدار وتنصرف عن مشاهدة الألعاب النارية، تمنيت لو أنني كشفت السبب.

- ولكن لماذا سألتها عما إذا كان في المنزل غرف سرية؟

- مجرد سؤال عابر خطر لي. ألا تذكر أن المشبوه العاشر الذي أشرت إليه في القائمة شخص مجهول؟ لقد خطر لي أن هذا الشخص المجهول جاء إلى البيت ليلة أمس واختبأ في غرفة سرية وأن إيلين هي التي ساعدته على ذلك لسبب ما، كأن يكون على علم بسر لها يهددها بإفشائه، ورأى هذا المجهول فتاة تعبر البهو فحسبها الآنسة باكلي بسبب الشال الأحمر الذي كانت تتدثر به فتبعها إلى الحديقة وقتلها.

ضحك بوارو وقال مستطرداً: يا لها من فكرة سخيفة خطرت ببالي! إننا نعلم الآن أنه ليس في البيت غرف سرية. والآن هيا بنا نبحث عن الوصية التي حررتها الآنسة تاكي.

دخلنا إلى قاعة المكتبة وأخذنا نبحث في أدراج المكتب.

كانت الأدراج مثالاً للفوضى، فقد تكدست فيها الأوراق بغير نظام واختلطت بعضها ببعض دون ترتيب، فواتير الكهرباء وقوائم البقال والقصاب وسط الرسائل الخاصة.

قال بوارو: خذ يا عزيزي جزءاً من هذه الأوراق ورتبها في مجموعات متماثلة وسوف أحذو حذوك في الجزء الباقي. ليت شعري ما الذي جعل فتيات هذا الجيل يكرهن النظام!

وبعد فترة من البحث والتنقيب دفع إليّ بوارو إحدى الرسائل وهو يقول: اقرأ يا عزيزي هذا الخطاب.

كان هذا نص الرسالة:

عزيزتي،

كانت سهرة رائعة دون شك. إنني أشعر اليوم بخمول شديد، وقد أحسنت فعلاً بأنك لم تقربي هذه المادة، واحذري مستقبلاً أن يغريك أحد بتناولها فإنك إن تناولتها مرة لصقت بك وأصبحت مدمنة لا تستطيعين منها فكاكاً. لقد كتبت إلى صديقتي الشابة أسألها أن تزودني بكمية أخرى. رباه! لقد أصبحت حياتي جحيماً.

فريدي.

قال بوارو: هذا معناه أن السيدة رايس تدمن على تناول المخدرات، وقد أدركت ذلك منذ أول لقاء بيننا. إن هذا الخطاب محرر في شهر فبراير الماضي.

- ولكني لم أفطن إلى الأمر.

- لو أنك تأملت عينيها لرأيتهما خابتتين وباهتتين، ثم لا تنس هذه النوبات المتضاربة التي تعتريها فجأة من مرح وابتهاج إلى اكتئاب ووجوم.

- وتاكي؟ أتراها أدمنت المخدرات هي الأخرى؟

- لا أظن، فلم ألاحظ عليها شيئاً من الأعراض المألوفة. ثم أردف: والآن هيا بنا نصعد إلى غرفة نوم تاكي فقد نعثر على الوصية هناك.

كانت أدراج الخزانة الموجودة في الغرفة ورفوفها مثالاً للفوضى وعدم النظام كما كان شأن المكتب، وعاد بوارو يردد: ما أعجب فتيات هذا الجيل! إنهن مولعات بالفوضى.

وقعنا على رزمة من الرسائل ملفوفة بشريط أحمر ومدسوسة وسط ثيابها. تناول الرزمة وبدأ يفك الشريط وهو يقول: لا شك أن هذه رسائل مايكل سيتون إليها.

وكان على حق فيما تبادر إلى ذهنه. أخذ بوارو يقرأ الرسائل فقلت معترضاً: كيف تبيح لنفسك أن تقتحم هذ الخصوصيات؟ أمن اللائق أن تطلع على رسائل غرامية تبادلها العاشقان؟

- أنسيت أننا نبحث عن قاتل سفاح؟

وبعد لحظات دفع إليّ ببعض الرسائل وهو يقول: اقرأ هذه الرسائل يا صديقي!

كان الخطاب الأول منها مؤرخاً بالأول من يناير، وهذا هو نصه:

عزيزتي،

ما كان أسعدني حين عرفت أنك تبادلينني حباً بحب. إنني دون شك أسعد رجل في الوجود. لقد غيرت وجه الدنيا وأصبح لي هدف أجري وراءه، وإليك أطيب التمنيات من المخلص دائماً، مايكل.

أما الخطاب الثاني فكان محرراً في ٨ فبراير وكان هذا نصه:

محبوبتي التي تفرض عليّ الأقدار أن لا أراها إلاّ في أوقات متباعدة،

إنني أمقت هذه القيود التي تحول دون لقائي بك، ولكن الأمر خارج عن إرادتي كما أوضحت لك. أنت تعرفين أن عمي ماثيو يؤمن بأن المرأة تفسد طموح الرجل وتعوق طريقه إلى المجد، ولا شك أنك تحبين أن تري حبيبك رجلاً عظيماً شهيراً، فتشجعي يا حبيبتي وتجملي بالصبر، فإن هي إلا فترة وجيزة ثم أصبح لك كل الوقت.

المخلص: مايكل.

وكان الخطاب الثالث مؤرخاً في ٨ مارس وهذا نصه:

ما إن صحوت بالأمس من نومي حتى تمثلت صورتك أمامي فجعلت أناجيك، وتمثلت في ذهني هذه الأيام التي أمضيناها في إسكابارو وكنت أسعد الناس. إنك لا تستطيعين أن تتخيلي مدى حبي لك.

مايكل.

والخطاب التالي كان في ١٨ أبريل:

لقد اتخذت قراراً نهائياً حاسماً. إذا ما نجحت في عبور الأطلسي فسوف أكاشف عمي ماثوي بكل شيء عن حبنا ولن أتراجع، رضي أو كره. إنني سعيد بأن أراك تشاطرينني الاهتمام بمشاريعي ولكم كنت أتنمى أن أراك جالسة بجانبي وأنا أطير فوق المحيط. أرجوك أن تخلدي إلى الاطمئنان وأن تنفضي عنك القلق، وثقي أنني لم أتعرض أثناء رحلتي لأي خطر وسوف أعود إليك سالماً. ثقي بحبيبك مايكل.

أما الخطاب الأخير فلم يكن مؤرخاً، ولكن هذا نصه:

عزيزتي،

لقد تحدد موعد الرحلة. غداً سأطير عبر الأطلسي، وأنا سعيد بأن أسعى إلى المجد والشهرة لأكون جديراً بك. تشجعي يا حبيبتي وثقي بي. لا أنكر أن هذه الرحلة تنطوي على بعض الأخطار ولكنني سوف أتغلب عليها. لقد أشار عليّ أحد الأصدقاء بأن أحرر وصيتي -كما هو الشأن عادة في مثل هذه الظروف- فلا تفزعي ولا تتشاءمي، ولقد حررتها فعلاً على ورقة عادية وبعثت بها إلى محامي الأسرة السيد هوابتفسيلد. ولم أراع في تسطيرها الشكليات القانونية المعروفة، وإنما كتبتها في إيجاز واقتضاب، فهذا أمر مقبول قانوناً. لقد قلت فيها «إنني أترك كل شيء لماجدالا». ومن حسن الحظ أن اسمك الحقيقي لم يغب عن ذهني، وإن كان الجميع -وأنا منهم- لا ينادونك إلا باسم تاكي. انتظريني فسوف

أعود إليك عاجلاً لنتزوج ولنعيش إلى مدى العمر أسعد زوجين في العالم.

مايكل.

أعاد بوارو الرسائل إلى موضعها وهو يقول: والآن ثبت أنني كنت على حق فيما ذهبت إليه. لقد حرر مايكل سيتون وصيته وترك كل شيء للآنسة باكلي. ثم استطرد يقول: لابد أن شخصاً ما قد اطّلع على هذا الخطاب.

فقلت متسائلاً: الخادمة إيلين مثلاً؟

- هذا محتمل جداً، أو السيدة فريدي أيضاً، فإنها تتجول في المنزل كما تشاء ولعلها في هذه الفوضى الضاربة وجدت الخطاب ملقى على الأريكة أو على المكتب فقرأته.

- ولكنا لم نعثر بعد على الوصية التي كتبتها تاكي.

- لا بد أنها في مكان لم نهتد إليه.

وهبطنا إلى الطابق الأسفل فمضى بوارو إلى إيلين وسألها: أكنت تعرفين أن الآنسة باكلي مخطوبة للطيار مايكل سيتون؟

فقالت في دهشة: هذا غريب! لم أسمع أبداً بهذا النبأ.

وفي الطريق قلت لبوارو: أعتقد أنها لم تكذبنا القول، فقد كانت دهشتها صادقة.

فنظر إليّ بوارو برهة ثم قال: إن هذه المرأة، إيلين، لغز محير ما زال مغلقاً وعليّ أن أنفذ إلى بواطنه.

* * *

الفصل الرابع عشر

ما إن غادرنا بيت الرعب حتى اتجهنا مباشرة إلى المصح الذي تقيم فيه الآنسة باكلي. ارتسمت أمارات الدهشة على وجه الفتاة عندما رأتنا نعود إليها وقد كنا في زيارتها منذ فترة وجيزة. فقال لها بوارو: بالله أين وضعت وصيتك؟ لقد بحثت عنها طويلاً في أدراج المكتب فلم أعثر عليها، فأبحت لنفسي أن أقتحم غرفة نومك وأفتش في أوراقك، ولكني لم أكن أسعد حظاً.

فأجابت ضاحكة: ولكن ما هذه الأهمية التي تعلقها على وصيتي ما دمت لم أمت بعد؟

- إن لها أهمية خطيرة يا آنسة، فأرجو أن تشحذي ذهنك وأن تحاولي أن تتذكري أين أودعتها؟

- لقد وضعتها في مكان ما وإن كنت لا أذكر أين، لا ريب أنني قد رميتها في أحد الأدراج دون مبالاة.

- ترى هل وضعتها في المخبأ السري الموجود في قاعة المكتبة؟

فرددت بدهشة واستغراب: المخبأ السري؟

- نعم، فقد ذكرت لنا إيلين أن في المكتبة تجويفاً سرياً في

الجدار وإن كانت لا تعلم موضعه.

- هذا غريب، فأنا لم أسمع بهذا من قبل. لو أن هذا المخبأ موجوداً لأطلعني جدي على الأمر. ألا يجوز أن تكون إيلين واهمة؟

- لا أظن، فهذه المرأة في رأيي لغز منغلق.

فقالت تاكي: حقاً إنها امرأة أمينة وزوجها ويليام رجل بسيط سليم الطوية.

سألها بوارو: هل أذنت لها ليلة أمس بالخروج لمشاهدة حفل الألعاب النارية؟

- طبعاً سمحت لها بالخروج.

- ومع ذلك فإنها لم تغادر المنزل.

فقالت الآنسة باكلي: هذا غريب.

- وما وجه الغرابة يا آنسة؟

- لأن هذه أول مرة تتخلى فيها إيلين عن مشاهدة الألعاب النارية. ترى هل عللت لك السبب في تخلفها؟

فقال بوارو: لقد زعمت أنها كانت منهمكة في العمل، ولكني موقن أنه ليس السبب الحقيقي.

- أنت ترتاب في تصرفاتها فيما يبدو؟

- هذا صحيح، وثمة شيء آخر؛ لقد قالت إن بيت الرعب ليس بالمكان الآمن الذي يمكن أن يقيم فيه الإنسان.

فقالت تاكي: أنا أشاطرها هذا الرأي؛ ففي بعض الأحيان

يخامرني مثل هذا الشعور. أحياناً يخيل إليّ أن الأشباح تسكن هذا المنزل!

حوّل بوارو الحديث إلى مجرى آخر إذ قال: والآن لنعد إلى ما كنا فيه. أين أودعت وصيتك؟ وصية ماجدالا باكلي؟

فأجابت: لا أدري، ولكنني ما زلت أذكر فحواها؛ لقد بدأتها بهذه العبارة: «هذه وصيتي» ثم أردفتها بهذه الكلمات: «يجب قبل كل شيء سداد ديوني ومصاريف الجنازة».

فقاطعها متسائلاً: إذن لم تكتبي وصيتك على النمط الشكلي المعروف؟

فقالت تاكي: كلا، فقد حررتها قبل دخولي المستشفى لإجراء عملية المصران الأعور، وقد قال لي السيد كروفت إن الوصايا الشكلية معقدة وتتضمن عبارات قانونية تستعصي على الفهم وإنه يحسن بي أن أكتبها بأسلوب بسيط يعبر عن إرادتي، وقال إن هذا كافٍ جداً من الناحية القانونية.

قال بوارو: إذن فقد حضر السيد كروفت تحرير الوصية؟

- نعم، بل هو الذي أشار عليّ بكتابتها، إذ قال لي مازحاً: "هبي أنك قضيت نحبك أثناء إجراء العملية"؟

فابتسم بوارو وقال: ومن الذي شهد عليها؟

- إيلين وزوجها ويليام. ثم أردفت فجأة: الآن تذكرت أين أودعتها! لقد بعثت بها إلى ابن عمي شارل فيز المحامي.

قال بوارو: حقاً؟ إذن فهذا هو السبب في عدم عثوري عليها في المنزل.

قالت له: والسيد كروفت هو الذي أشار عليّ بذلك، إذ قال إن مثل هذه الوثيقة القانونية يجب أن تودع عند أحد المحامين.

فقال بوارو متهكماً: يا له من ناصح أمين!

استطردت الآنسة باكلي: لقد أودعنا الوصية بمظروف كتبنا عليه عنوان السيد شارل فيز، وما دمت راغباً في الاطلاع عليها فاذهب إلى ابن عمي.

- لكن لا بد أن تكتبي إليه بذلك وإلا سوف يرفض تماماً أن يطلعني عليها.

تناولت الآنسة باكلي رقعة من الورق سطرّت عليها الخطاب الذي أملاه عليها بوارو موجهاً إلى ابن عمها المحامي شارل فيز تسأله أن يسمح للتحري السرّي بالاطلاع على وصيتها التي بعثت بها إليه، وناولته الخطاب وهي تقول: يؤسفني أنني أرهقتك بالبحث عن الوصية في المنزل، فقد غاب عن ذهني تماماً أنني أرسلتها إلى ابن عمي.

فقال باسماً: لا عليك، فقد استفدت في التنقيب بأن أشبعت هوايتي بالتنسيق إذ رتبت أوراقك وصففتها في نظام وترتيب.

ودار بوارو ببصره في أرجاء الغرفة حتى استقرت عيناه على باقات الورود الموضوعة في أحد الأركان فقال: يا لها من زهور جميلة أضفت على الغرفة شيئاً من البهجة!

فأومأت إلى الورود وهي تقول: هذه من فريدي وتلك من لازاروس، أما هذه الباقة فمن الكابتن شالينجر. ثم مدت يدها

وتناولت سلة كانت موضوعة على المنضدة بجانبها وفضّت أربطتها وهي تقول: وهذه علبة من عصير العنب.

تغير وجه بوارو وقال بنبرة قلق: هل شربت منها شيئاً؟

- لا، ليس بعد.

فقال بحزم: إذن لا تتناولي منها شيئاً، لا تتناولي أي شيء يأتيكِ من خارج المصح، هل تعين ما أقول؟

- يا إلهي! إلى هذا الحد؟ إذن فأنت تعتقد أن محاولات قتلي لم تنته بعد؟

ربت بوارو على يدها في حنان وقال: لا تفزعي يا آنسة، ولكن لا بد أن نتوخى الحذر، فإياك والتهاون.

عندما غادرنا المصح نظر بوارو في ساعته وقال: ما تزال أمامنا فسحة من الوقت لكي نزور السيد شارل فيز لنطلع على الوصية.

* * *

تلقانا المحامي بترحاب ومودة وقدم إليه بوارو خطاب الآنسة باكلي، وما إن تلاه حتى بدت الدهشة في وجهه وقال: ما معنى هذا؟ إن تاكي تسألني أن أطلعك على وصيتها التي أرسلتها إليّ في شهر فبراير الماضي؟

- تماماً، فأنا أريد أن أعرف فحواها؟

- لكن تاكي لم تبعث إليّ بأي وصية يا سيدي.

- ماذا تقول؟ حقاً إن هذا لشيء غريب!

استطرد المحامي: كما أنني لم أعلم أبداً أن تاكي حررت أية وصية.

- لقد أخبرتني أنها سطرّتها على ورقة عادية ثم بعثت بها إليك عن طريق البريد.

- أؤكد لك أنه لم يصلني منها شيء بهذا الصدد.

بعد صمتٍ قصير قال بوارو: في هذه الحالة لا أرى يا سيد فيز ما يدعوني إلى إطالة زيارتي.

في الطريق سألت بوارو: أتراه كان كاذباً؟

- لا أدري، فقد كان وجهه جامداً خالياً من التعبير فلم أستشف منه إن كان صادقاً أو كاذباً.

- وما العمل الآن؟

- لا سبيل أمامنا إلاّ أن نسأل السيد كروفت عما حدث، فقد كان حاضراً عند تحرير الوصية.

* * *

حين ذهبنا إلى السيد كروفت وجدناه في المطبخ يطهو الطعام وقد ارتدى مئزراً فوق بذلته، وقال ضاحكاً: لحظة واحدة أيها السادة ثم أتفرغ لكما. ورفع صوته ينادي زوجته: ميلي، سأبعث إليك بصديقنا التحري الشهير مع صاحبه السيد هيستنغز.

تلقتنا السيدة كروفت بابتهاج وقالت: يا للمسكينة! لقد فهمت أنها أودعت أحد المصحات، فهل هي مصابة بانهيار

عصبي؟ هذا لا يدهشني فالصدمة المفاجئة التي تلقتها كفيلة بأن تدمر أعصابها!

ولحق بنا زوجها بعد قليل، وحينئذٍ وجه إليه بوارو السؤال الذي كان يشغل ذهنه عن الوصية. أجاب السيد كروفت: نعم، إنني أتذكر ما حدث تماماً. لقد أصيبت الآنسة باكلي بالتهاب المصران الأعور وتقرر إجراء جراحة لها، وكان ذلك عقب وصولنا هنا واستئجارنا هذا البيت. فلما أوشكت أن تدخل المستشفى قلت لها على سبيل المزاح: لماذا لا تحررين وصيتك فإنك إن متِّ استولت الدولة على ثروتك. واستطرد السيد كروفت: وقد أخذت الآنسة باكلي برأيي وكان من رأيها أن تحرر وصيتها على تلك النماذج المطبوعة التي تباع في المكاتب، ولكني أخبرتها أن هذه النماذج محررة بأسلوب قانوني معقد وأنها تحتوي على تفاصيل سخيفة مملة لا داعي لها، وأشرت عليها أن تحرر وصيتها على ورقة عادية، وقلت لها إنه يكفي أن تكون عبارتها واضحة ومعبرة عن إرادتها.

- من كان الشاهدان؟

- إيلين وزوجها ويليام.

- ما الذي تمّ بعد ذلك بشأن الوصية؟ أين أودعتها؟

- لقد أودعتها الآنسة باكلي مظروفاً عنونته باسم ابن عمها المحامي شارل فيز.

هل أنت متأكد من أن الخطاب أودع صندوق البريد؟

- بكل تأكيد، فأنا الذي أودعته بنفسي.

- لكن السيد فيز أبلغني أنه لم يتلقّ هذا الخطاب قط.

- هذا غريب! لعلك تريد يا سيدي أن تقول إن الخطاب قد فُقد في البريد؟

- ألديك تعليل آخر لاختفاء الخطاب؟

هز السيد كروفت رأسه وقال: على أية حال لا أهمية للأمر الآن، فالآنسة باكلي ما زالت على قيد الحياة.

ردّ بوارو: صدقت، لقد صارت الوصية غير ذات أهمية.

* * *

في الطريق قال بوارو في حيرة: ليتني أعرف أيهما الكاذب، السيد فيز أو السيد كروفت؟ ولكنني بصراحة لا أجد مبرراً يدفع السيد كروفت إلى الكذب، ثم إنه لا شأن له بالوصية فاختفاؤها لا يفيده ووجودها لا يضره.

ثم أردف ضاحكاً: ومع ذلك فقد استفدت من هذه الزيارة بشيء هام، فعندما لحق بنا السيد كروفت من المطبخ كانت آثار الزبدة لا تزال عالقة بأصابعه، فلما أمسك بالصحيفة التي كانت على المقعد ليضعها على المائدة انطبعت بصمات أصابعه على الصحيفة، وقد اغتنمت فرصة سانحة وقطعت من الصحيفة الجزء الذي يحمل بصماته دون أن يفطن أحد إلى ما فعلت.

وأخرج من جيبه قصاصة صغيرة مقتطعة من الصحيفة، قلت متسائلاً: وما الذي تنوي أن تفعل بها؟

- سأبعث بها إلى إدارة الشرطة لأستوثق من أمره ولأعرف إن كان له سجل سوابق أم لا.

* * *

الفصل الخامس عشر

استقبلنا الكولونيل ويستون مدير شرطة المنطقة في مكتبه بترحاب شديد، وشكر الظروف التي أتاحت له لقاء التحري الشهير ثم قال إن ما يقلقه هو أن يظل لغز هذه الجريمة مغلقاً فتتدخل إدارة اسكتلانديارد في الأمر، فهو يكره أن يرى الإدارة تقحم نفسها في شؤونه، واستطرد الكولونيل ويستون يقول: أعلم أن الآنسة باكلي ستظل في أمان طالما لزمت المصح، ولكن ما عسى أن يكون من أمرها إن اضطرت إلى مغادرته قبل أن يتم اكتشاف القاتل؟

- أقرك على هذا، فالخطر قائم لا سبيل إلى اتقائه إلا باكتشاف القاتل.

استطرد مدير الشرطة قائلاً: لو أننا اهتدينا إلى بعض شهود العيان أو عثرنا على المسدس لهان الأمر.

قال بوارو: من المحتمل جداً أنه قد قُذف به إلى مياه البحر بعد ارتكاب جريمته. لو أن شارل فيز المحامي هو رجلنا المنشود لاشتدت صعوبة الأمر، فإنه كرجل قانون يستطيع أن يدبر الأمر في حذق وبراعة، أما لو أن التي ارتكبت الجريمة امرأة لكان لدينا بريق من الأمل.

- جلسة التحقيق ستنعقد غداً صباحاً، ولكنها لن تسفر عن شيء ذي أهمية بطبيعة الحال.

فتح مدير الشرطة درج مكتبه وتناول منه ورقة مطوية وهو يقول: آه! لقد كدت أنسى أن أطلعك على هذه الورقة. إنها قصاصة عثر عليها رجالي في الموضع الذي اجتمع فيه المدعوون لمشاهدة حفل الألعاب النارية، وهي القرينة الوحيدة التي وقعنا عليها.

فض بوارو الورقة وقرأها. كانت مكتوبة بخط رديء وممزقة الأطراف لا تضم إلا هذه العبارة: «أنا محتاج إلى المال حالاً. إذا لم تبادري إلى الدفع لجأت إلى غيرك. هذا إنذار مني فكوني على حذر».

قطب بوارو جبينه مفكراً ثم قال بعد لحظة من التريث: هذه القصاصة ذات أهمية كبرى، فهل تأذن لي بالاحتفاظ بها؟

فأجاب مدير الشرطة: بكل تأكيد، فإننا لم نتبين لها شيئاً من الأهمية حتى الآن، ويسعدني أن يكون لها بعض النفع لديك. سوف نقتصر على دعوة السيد هيستنغز وحده إلى أداء الشهادة، فأنت معروف لدى الصحافة ونريد أن نجنبك إلحاح رجال الصحف.

- شكراً لك، وماذا بشأن والدي الفتاة؟

- سيصلان من يوركشير في الخامسة والنصف من مساء هذا اليوم، وغداً يعودان في الصباح الباكر وفي صحبتهما جثة الفتاة. يا لهما من مسكينين! إني لأرثي لهما.

- صدقت، إنها مأساة مفجعة تثير الشجن.

ما إن انصرفنا من مكتب الكولونيل ويستون ورجعنا إلى الفندق حتى عاد بوارو يفحص قصاصة الورق مرة أخرى، فسألته: ألهذه القصاصة أهمية في رأيك؟

- إن لها دلالة واضحة لأنها تهديد بالابتزاز. إن واحداً من أصدقاء الآنسة تاكي في حاجة ماسة إلى المال، وأغلب ظني أنه أحد المدعوين إلى الحفل.

ومن جديد ألقى بوارو نظرة فاحصة على القصاصة ثم قال: هذا خط نسائي، وهو خط مألوف لديّ.

- آه، إنه يذكرني بخط السيدة رايس.

فقال بوارو بعد برهة من التفكير: الأمر غريب! إن بين الخطين شيئاً من التشابه فعلاً، وإن خيّل إليّ أنه تشابه متعمد!

وقُرع الباب في تلك اللحظة ودخل الكابتن شالينجر فقال: معذرة إن أزعجتكما، ولكني أردت أن أطمئن. ترى كيف تسير الأمور؟

فأجابه بوارو: إنها تسير القهقرى بكل أسف.

- كيف هذا؟ لقد حدثوني عنك يا سيد بوارو أنك رجل المعجزات ولطالما أمطت اللثام عن ألغاز اكتنفها الغموض. إنهم يقولون عنك إنك الرجل الذي لا يهزم.

قال له بوارو: مجرد مبالغات يا صاحبي، فلقد عرفت الفشل أكثر من مرة. أتذكر يا عزيزي هيستنغز جريمة علبة

الشوكولاتة وكيف منيت فيها بالفشل؟

- أذكر أننا اتفقنا عندئذٍ أن أقول لك كلما ركبك الغرور عبارة «علبة الشوكولاتة» فتذكرك بفشلك وترتد إلى التواضع.

قال الكابتن شالينجر متسائلاً: ترى هل ركزت اشتباهك على أحد؟

- حتى الآن أشتبه في شخصين اثنين.

- هل لي أن أسألك من يكونان؟

- أفضّل أن أتكتم على اسميهما، فقد تكون شبهاتي قائمة على غير أساس.

وبعد صمت قصير قال شالينجر: أتسمح لي يا سيد بوارو أن أحاول نفي الشبهات عن نفسي؟ أنت تعرف تحركاتي يوم وقوع الجريمة وأنني كنت بعيداً عن مسرح الجريمة ساعة وقوعها.

فقال بوارو: أنا أعرف أنك سافرت من ميناء دافينبورت في الساعة الثامنة والنصف فوصلت هنا في العاشرة والربع، أي بعد وقوع الجريمة بعشرين دقيقة. ولكن المسافة من دافينبورت إلى هنا لا تزيد على أربعين كيلومتراً ويستطيع المرء أن يقطعها في نحو ساعة إذا زاد من سرعة السيارة، وهذه هي نقطة الضعف في دليل النفي الذي تقدمه.

قال شالينجر محاولاً الدفاع عن نفسه: ولكن...

بيد أن بوارو استطرد يقول: أنت ترى من هذا أنني لا أغفل

في تحرياتي أية نقطة. إنني أبحث جميع الاحتمالات، ومع ذلك فإن إقدامك على ارتكاب هذه الجريمة أمر مستبعد لأنني أعلم أنك مغرم بالآنسة باكلي.

- لا أكتمك أنني أتمنى أن أتزوجها.

- أعلم هذا، ولكن الآنسة باكلي كانت مخطوبة لرجل آخر، وقد يكون هذا دافعاً يحملك على التفكير في قتلها. ومع ذلك فقد انتهى أمر الخطوبة الآن، لقد مات خطيبها بطلاً مرموقاً.

- إذن فقد كان صحيحاً ما يتردد في القرية من أنها كانت مخطوبة إلى طيار؟ ولكنها لم تفصح عن الاسم.

- لقد كانت تعني بذلك الطيار مايكل سيتون، وقد أوصى لها بثروته الضخمة التي تُعَد بالملايين، فإذا ماتت الآن فإن ثروتها...

وقطع عليه الحديث طرقات على الباب، ودخلت السيدة رايس وبدأت تخاطب شالينجر: لقد كنت أبحث عنك يا شالينجر فقيل لي إنك هنا، لقد أردت أن أسألك عما إذا كان الساعاتي قد أصلح ساعتي؟

- نعم، وقد استعدتها منه صباح اليوم.

أدخل شالينجر يده في جيبه فأخرج منه ساعة يد صغيرة ناولها إلى السيدة رايس. كانت ساعة فاخرة مثبتة إلى شريط من جلد التمساح، وخيل إليّ أنني سبق أن رأيتها حول معصم الآنسة باكلي.

قال شالينجر: أرجو أن يكون قد أحسن إصلاحها فلا تعود تقدم أو تؤخر.

فقالت السيدة رايس: أرجو ذلك، فقد كانت دائماً غير منتظمة.

وانبرى بوارو يقول مخاطباً السيدة رايس: إنها تحفة رائعة يا سيدتي وإن كانت مختلة! ثم استطرد قائلاً: لقد كنا نعجب لسرعة انتشار الأنباء، فإن أهل القرية يعرفون الآن أن الآنسة باكلي كانت مخطوبة لمايكل سيتون.

فقالت السيدة رايس بنبرة استغراب: ماذا تقول؟! أكانت تاكي خطيبة لمايكل؟

- أيدهشك ذلك يا سيدتي؟

- قليلاً، فقد بدا لي في الواقع أنها كانت هائمة به منذ الخريف الماضي، وكانا يخرجان معاً منذ عيد الميلاد.

- إذن فقد عرفا كيف يكتمان سرهما.

قالت السيدة رايس: لا شك أنهما تكتّما الأمر خوفاً من السير ماثوي، فقد كان مطبوعاً على كراهية النساء.

- إذن فلم يخامرك في الأمر ريبة يا سيدتي، رغم ما بينكما من صداقة وثيقة؟

قالت السيدة رايس: والآن عرفت سر قلقها واضطرابها في الأيام الأخيرة حين ترددت الأنباء عن سقوط طائرة مايكل. ثم غمغمت: هل تعتقد يا سيد بوارو أن...

وفجأة بترت عبارتها وشحب لونها واستقرت عيناها في ذهول على الطاولة التي كان بوارو جالساً بجانبها. قال لها متسائلاً بلهفة: ماذا دهاك يا سيدتي؟ هل أنت مريضة؟

- لا، أنا بخير، لا شيء.

بعد برهة نهضت السيدة رايس فجأة معتذرة بأنها قد تحسنت وغادرت القاعة في خطوات سريعة. قال الكابتن شالينجر عقب انصرافها: إن هذه المرأة لغز غامض، إن تاكي تتخذ منها أعز صديقة لها ولكني لا أعتقد أن فريدي تبادلها نفس الشعور.

تناول بوارو قبعته وسواها، فسأله شالينجر: أتنوي الخروج يا سيد بوارو؟

- نعم، أنا ذاهب إلى القرية.

- أتسمح لي بأن أصحبك، فلا شيء لدي يشغلني؟

- بل يسرني أن ترافقني.

وما كدنا نخرج إلى الممشى حتى قال بوارو معتذراً: آه! لقد نسيت عصاي. ورجع إلى الغرفة ثانية، ثم ما لبث أن لحق بنا وقال: أنا ذاهب إلى محل الزهور لأبعث بباقة ورد إلى تاكي.

قال شالينجر: لقد بعثت إليها صباح اليوم بباقة من الزهور، فلعله يحسن بي الآن أن أقدم إليها شيئاً من الفاكهة.

- لا داعي لذلك، فإن التعليمات تقضي بأنه محظور عليها أن تتناول أي شيء يرد إليها من خارج المستشفى.

نظر إليه شالينجر بشيء من الاستغراب وقال: فهمت، فأنت لا تزال تتوقع شيئاً من محاولات الاغتيال؟

فأومأ برأسه وقال: هو ذاك.

كانت صاحبة محل الزهور فتاة صبورة شديدة الاحتمال، فقد كان بوارو عميلاً مدققاً من الصعب إرضاؤه، إذ أخذ ينتقي الباقة بعناية زهرة بعد زهرة، ثم تناول بطاقته وخط عليها هذه الكلمات: «مع تمنيات هيركيول بوارو». وناولها إلى البائعة قائلاً: أرجو أن ترفقي بالباقة هذه البطاقة.

وانصرفنا عائدين إلى الفندق.

* * *

الفصل السادس عشر

لم تستغرق جلسة التحقيق إلا فترة وجيزة أعلن القاضي بعدها أن ظروف الجريمة ما زالت غامضة مما يحول دون اتخاذ قرار نهائي، ولا بد من التريث حين تقدم الشرطة معلومات جديدة.

كانت الصدمة المفجعة قاسية الوقع على الأبوين المسكينين، فقد كان الحزن مرتسماً في سمات وجهيهما ونبرات صوتهما تنبض بالشجن الذي يفترس صدريهما. قال الأب المحترم: الحق أنني في دهشة مما جرى، إن ابنتي المسكينة مخلوقة وديعة رضية الخلق لم تسئ أبداً إلى مخلوق، فكيف يفكر إنسان في قتلها؟

غمغم بوارو ببضع كلمات رقيقة من المواساة. فقال الأب باكلي: إنك رجل تحر ذائع الشهرة يا سيد بوارو، وإنني لعلى ثقة من أنك سوف تكتشف القاتل. يجب ألا يفلت من القصاص، تلك هي سنة العدالة.

فقال بوارو: لن يهدأ لي بال يا سيدي حتى أقدّم هذا القاتل المجهول إلى العدالة، فكن مطمئناً. ثم أردف على الفور متسائلاً: متى التقيتم بالآنسة باكلي آخر مرة؟

فأجابت السيدة باكلي: في الخريف الماضي، عندما جاءت إلى إسكارباو حيث أمضت ماغي معها يوماً كاملاً، وقد أمضت ليلتها في بيتنا.

قال بوارو: إن بيت الرعب في اعتقادي مكان لا يصلح لإقامة فتاة وحيدة.

- صدقت، وأنا نفسي لا أحب هذا المنزل. إنني أشعر وكأن جواً مخيفاً يسوده.

- ولكن متى ستقرران الرحيل؟

- غداً، وإنها لرحلة مفجعة تمزق نياط القلوب.

عاد بوارو يردد بعض كلمات المواساة والعزاء.

* * *

قال لي بوارو وقد انصرفنا من لقاء الأبوين المسكينين: الشيء الذي يعذّبني هو أنني عجزت عن اتخاذ الحيطة الواجبة، فكيف تسنى للقاتل أن يقترف جريمته تحت سمعي وبصري؟

- لا تلم نفسك، فما كان في وسعك أن تحول دون وقوع هذه الجريمة.

قال بوارو بمرارة: إذن فقد مني هيركيول بوارو العبقري بفشل ذريع. وأردف مغيراً مجرى الحديث: والآن هيا بنا نسافر إلى لندن.

فقلت باستغراب: إلى لندن؟!

- نعم. إن الآنسة باكلي في أمان الآن ولا يملك أحد أن

يمسها بسوء وهي بين جدران المصح. ثم إن أمامي مهمة صغيرة في لندن لا بد من إنجازها.

ما إن وصلنا لندن حتى ذهبنا إلى مقابلة السيد هوايتفيلد محامي المليونير الراحل ماثوي سيتون. قال المحامي العتيد: لقد تلقيت يا سيد بوارو خطاباً من اسكتلانديارد يرجونني فيه أن أطلعك على وصية السير ماثوي. ثم استطرد على الفور قائلاً: ولكن ألا ترى يا سيد بوارو أن إطلاعك على هذه الوصية أمر لا يتفق مع الأصول المرعية؟

فقال بوارو: أرجوك أن تضع في اعتبارك أنني وراء قاتل.

- لكني لا أرى أية علاقة بين مقتل الآنسة ماغي وبين وصية السير ماثوي سيتون.

فقال بوارو باقتضاب وفي كلمات متمهلة: بل إن هذه العلاقة قائمة وموجودة يا سيدي.

- أهذا رأيك يا سيد بوارو؟ ولكن ما دمت ترى هذا فإنني على استعداد لأن أطلعك على ما تشاء حتى أسهّل مهمتك استجابة لرجاء صديقي السير هنري مدير اسكتلانديارد.

- شكراً لك يا سيدي. والآن فهل يمكن أن تذكر لي أسماء المستفيدين من وصية السير ماثوي؟

- لقد ترك كل شيء لابن أخيه الطيار مايكل سيتون، وذلك باستثناء بعض مبالغ أوصى بها لبعض الجمعيات الخيرية ولمتحف التاريخ الطبيعي.

- وهل ترك السير ماثوي ثروة كبيرة؟

- لعلي لا أكون مبالغاً يا سيد بوارو إذا قلت لك إن السير ماثوي سيتون قد يكون أغنى رجل في إنجلترا.

- أكان موته متوقعاً؟ أعني هل كان مريضاً مثلاً؟

- بل كان في أتم صحة وعافية. كل ما هنالك أنه أصيب بورم في الغدة فأجريت له جراحة ناجحة، ولكنه ما لبث بعدها أن أصيب بانهيار وتدهورت صحته ومات.

- وانتقلت ثروته إلى ابن أخيه؟

- نعم، الكابتن مايكل سيتون الطيار.

فتساءل بوارو: ترى هل ترك الكابتن مايكل وصية قبل محاولته عبور الأطلسي؟

- نعم. لقد حرر وصيته قبل سفره، وإن لم يراعِ فيها الشكليات القانونية.

- لكنها مقبولة من الناحية القانونية؟

- طبعاً، فافتقارها إلى الشكليات لا يفسدها.

- أيمكنك أن تذكر لي ثروة الكابتن مايكل بالتفصيل؟

فابتسم المحامي وقال: عندما حرر مايكل سيتون وصيته لم يكن يملك شيئاً، فقد كان يعيش على المرتب الذي يتقاضاه من عمه.

- ولمن أوصى بالقليل الذي يملكه؟

- لقد أوصى بكل ما يملك إلى خطيبته الآنسة باكلي، وقد عينني منفذاً للوصية.

- إذن فالآنسة باكلي هي الوارثة الوحيدة؟

- تماماً، هي وحدها ولا أحد سواها.

- ولنفرض أن الآنسة باكلي ماتت يوم الإثنين الماضي، فإلى من تنتقل ثروتها؟

أجاب المحامي: تنتقل ثروتها بما فيها ما ورثته عن الكابتن مايكل إلى الشخص الذي أوصت له الفتاة بثروتها، هذا إذا كانت قد حررت وصية.

شكر بوارو المحامي الكبير على المعلومات التي زوده بها وبادرنا إلى الانصراف. وفي الطريق قلت لبوارو: لقد أيدت هذه المعلومات التحليل المنطقي الذي ذهبت إليه يا عزيزي بوارو. هناك شخص عرف أن الكابتن مايكل قد أوصى للآنسة باكلي بما يملك، فلما انتقلت إليها ثروته حاول الشخص المجهول أن يقتلها لكي يرثها.

قال بوارو ببساطة: بالتفكير المنطقي يمكن أن يصل المرء إلى نتائج محققة، ومع ذلك فليس الأمر بالبساطة التي ذكرتها. والآن فلنسرع إلى مطعم شيشابر، فقد دعوت المفتش جاب إلى تناول العشاء معنا ولا شك أنه في انتظارنا الآن.

شدّ المفتش جاب على يد بوارو بحرارة صادقة وهو يقول: لقد مضى دهر طويل دون أن نلتقي يا عزيزي بوارو، لقد حسبت أنك اعتزلت العمل وانزويت في حديقتك تزرع الكرفس؟

- لقد حاولت ولكن بغير جدوى، فالغريزة البوليسية ما زالت تسيطر عليّ.

وبعد حديث قصير مقتضب تبادلنا فيه المجاملات قال المفتش جاب: والآن فلنتحدث عن الأمور الجدية.

فقال بوارو: أصبت، ما الذي عرفته عن البصمات التي أرسلتها إليك؟

أجاب المفتش وهو يرفع كتفيه: لا شيء أبداً، فصاحب هذه البصمات لم يقع في أيدينا قط، كما أنني أبرقت إلى أستراليا فجاءني الرد بأنهم لا يعرفون عنه شيئاً.

- هذا غريب؛ لقد كنت أرجو شيئاً غير ذلك.

استطرد المفتش جاب: أما عن الموضوع الثاني...

- تعني لازاروس طبعاً؟

- نعم، لقد قمت بتحريات دقيقة عرفت منها أن متجر لازاروس يحظى بسمعة طيبة في معاملاته التجارية، ولا شبهة تمس تصرفاته. أما من الناحية المالية فإن المتجر يعاني بعض المتاعب في الوقت الحاضر.

وبعد صمت قصير قال بوارو متسائلاً: الآن ما الذي عرفته عن الدكتور ماك أليستر؟

- إنه أخصائي في أمراض النساء، ولا أعني بذلك جميع الأمراض، فقد اقتصر على العلاج العصبي والنفساني، فيأمر السيدة مثلاً بأن تنام في غرفة أرجوانية ذات ستائر زرقاء وأن يكون جذعها منخفضاً عن باقي جسدها... إلى غير ذلك من الخزعبلات التي يخدع بها الأطباء الدجالون بعض النساء لكي يبتزوا منهن المال!

- أتعني أن الدكتور ماك أليستر من هذا الطراز؟

- إنه دجال دون شك، وهو يتردد على باريس من حين لآخر بحجة دراسة أحد النظريات العلمية.

انبريت أقول موجهاً الحديث لبوارو: ولكن من يكون هذا الدكتور ماك أليستر؟

- الدكتور ماك أليستر هو عم الكابتن شالينجر.

فعقّبت بقولي: لا شيء يفوتك أبداً يا بوارو!

أمضينا سهرة ممتعة، ومضى بوارو والمفتش جاب يرويان قصص انتصاراتهما البوليسية وحكايات الجرائم الغامضة التي استطاعا أن يميطا عنها اللثام. وفي ساعة متأخرة من الليل رجعنا إلى سانت لو وأوينا إلى الفراش مكدودين متعبين.

في الصباح اتصل بوارو ليستفسر عن الآنسة باكلي، وفجأة رأيت وجهه يشحب ويصفرّ لونه وسمعته يقول: ماذا تقول؟ ما معنى هذا؟ ولكن كيف حدث؟

بعد لحظات قال: حسناً، أنا قادم على الفور.

وما إن رد السماعة مكانها حتى التفت إليّ قائلاً: لنسرع إلى المصح يا هيستنغز.

فقلت متسائلاً: ولكن ما الذي حدث؟

- الآنسة باكلي مريضة جداً، لقد أصيبت بتسمم من الكوكايين! ويل للأشقياء؛ لقد استطاعوا أن ينالوا منها!

* * *

الفصل السابع عشر

طوال مسيرتنا إلى المصح كان بوارو ينحي على نفسه باللائمة ويتساءل في عجب كيف تسنى للقاتل المجهول أن يصل إلى تاكي وأن يسممها بالكوكايين: لقد اتخذت كل حيطة ممكنة، فكيف استطاع أن ينال منها؟

- لا بد أنه حدث شيء من التهاون.

- ولكن كيف؟ كيف؟ لقد أمرت بمنع الزيارات وحرمت عليها أن تتناول أي شيء يرد إليها من الخارج، فكيف تسممت بالكوكايين؟ من الذي عصى أوامري؟

ما إن وصلنا إلى المصح حتى وافانا الدكتور جراهام مسرعاً، وبدا متعباً منهوك القوى وقال: سوف تنجو، كانت المشكلة أن أعرف الكمية التي تناولتها من هذا العقار الملعون.

- ولكن هل تأكدت أنه كوكايين؟

- دون شك، ولحسن الحظ فإن الكمية التي تناولتها كانت قليلة.

- إذن ستعيش؟

- كن مطمئناً، سوف تنجو.

تساءل بوارو: ولكن كيف وصل العقار إليها؟ هل سمح لها أحد بمقابلة الزوار؟

أجاب الطبيب: لا، فالزيارات ممنوعة منعاً باتاً.

- إن الأمر غير مفهوم.

فأجاب الطبيب: لقد جاءها صندوق من الشوكولاتة.

- يا للهول! لقد أمرتها بألا تتناول شيئاً يأتيها من خارج المستشفى. ثم أردف: أيمكنني أن أتحدث إليها؟

- ليس الآن، وإنما بعد ساعة على الأكثر.

وأمضينا هذه الساعة نتجول في حديقة المصح، وأخيراً سمح لنا بمقابلة الآنسة باكلي. وما إن رأتنا حتى ابتدرتنا قائلة: ها هم بدؤوا محاولات القتل من جديد.

فطيب بوارو خاطرها ببعض كلمات رقيقة ثم قال: فلنحمد الله على نجاتك يا آنسة. ولكن لماذا خالفت تعليماتي؟

- لكني كنت حريصة على تنفيذها.

- إذن فلماذا أكلتِ من هذه الشوكولاتة؟

أثار جوابها دهشتنا إذ قالت: لأنك أنت الذي أرسلتها إليّ يا سيد بوارو.

- أنا؟! أنا لم أبعث إليك بشيء من هذا.

قالت الفتاة باستغراب: ولكن بطاقتك كانت مرفقة بصندوق الشوكولاتة. كانت في داخله، أتحب أن تراها؟ واستدارت في فراشها فتناولت بطاقة من فوق المنضدة بجانبها وقدمتها إلى

بوارو. نظر إلى البطاقة ثم غمغم بدهشة: إنها فعلاً بطاقتي، وهذا خطي! كانت هذه الكلمات مسطورة على البطاقة: «مع تمنيات هيركيول بوارو».

- إنه خطك طبعاً، نفس الخط الذي حررت به البطاقة السابقة مع باقة الورد التي سبق أن أرسلتها إليّ، فكيف يخامرني الشك في أمرها؟

- صدقت، إنني ألتمس لك العذر على انخداعك بها. ولكن تأكدي يا آنسة أن هذه الغلطة لن تتكرر مرة أخرى. ثم التفت قائلاً: والآن هيا بنا يا هيستنغز يجب أن أجري بعض التحريات.

بدأ بوارو بالمشرفة على المصح فسألها عن الطريقة التي وصل بها صندوق الشوكولاتة إلى الآنسة باكلي فأجابت: يحسن بك أن تستفسر من حارس البوابة.

بدا حارس البوابة مرتبكاً مضطرباً، فقال له بوارو: اطمئن يا صديقي فلا أحد يلومك على ما حدث، ولكني أريد أن أعرف متى وصل صندوق الشوكولاتة ومن الذي جاء به؟

- نعم يا سيدي، رجل أشقر ذو وجه نحيف إلى حد ما.

فقلت لبوارو هامساً: أيكون شارل فيز؟

سمع حارس البوابة ما همست به فقال معترضاً: لا، لا، إنه ليس السيد فيز فأنا أعرفه حق المعرفة. إن الذي جاء بالصندوق أطول قامة وأنيق في ملبسه ويستقل سيارة كبيرة فاخرة.

فهتفت: إنه إذن لازاروس دون شك.

فسأله بوارو: وما الذي فعلته بالطرد بعد أن استلمته؟

- وضعته على المنضدة في البهو مع غيره من الطرود حتى إذا حضرت الممرضة أخذت الطرود جميعاً ووزعتها على أصحابها.

- هل تذكر متى تسلمت هذا الطرد؟

- نعم، في نحو الخامسة والنصف أو بعد ذلك بقليل.

مضينا إلى الممرضة التي قامت بتوزيع الطرود، فقالت ترد على أسئلة بوارو: لقد أخذت الطرود في السادسة مساء لأسلمها إلى أصحابها.

فقال بوارو: معنى هذا إن طرد الشوكولاتة قد بقي على المنضدة في الردهة نحو عشرين دقيقة؟

قالت الممرضة: وكانت مع صندوق الشوكولاتة هدايا أخرى للآنسة باكلي؛ باقات من الورد وزجاجة عطر من السيدة كروفت، كما جاءها بطريق البريد صندوق آخر من الشوكولاتة حملته إليها مع الهدايا الأخرى.

فقال بوارو: صندوق ثانٍ من الشوكولاتة؟ هذا غريب.

قالت الممرضة: وفتحت الآنسة تاكي الصندوقين أمامي ثم هتفت: "يا إلهي! إنني مولعة بالشوكولاتة، ومع ذلك فمحرم عليّ أن أقربها". وكانت بطاقتك في أحد الصندوقين فخشيت الآنسة باكلي أن يختلط الصندوقان أحدهما بالآخر، فطلبت مني أن آخذ الصندوق الذي لم تكن مرفقة به أية بطاقة تدل على اسم مرسله.

فسألها: وأي الصندوقين هو الذي ورد بالبريد؟ صندوقي أم الصندوق الآخر المجهول المصدر؟

- لا أعلم يا سيدي، فأنا لم أنتبه إلى ذلك.

صرف بوارو الممرضة مكتفياً بما سمعه منها، فقلت له: إن لازاروس هو الذي جاء بالصندوق إلى المصح دون شك، فهل تنوي أن تستجوبه؟

- طبعاً، لا بد من استجوابه.

* * *

وجدنا لازاروس في حديقة الفندق يفحص سيارته، فأقبل عليه بوارو يسأله دون لف أو دوران: سيد لازاروس، هل تركت مساء أمس صندوق شوكولاتة للآنسة باكلي في المصح؟

فأجاب وقد أدهشه السؤال: هذا صحيح، ولكن لماذا تسأل؟

- كانت لفتة لطيفة منك أن تفكر في هذا.

- الواقع أن فريدي، أعني السيدة رايس، هي التي عهدت إليّ بهذه المهمة.

سأله بوارو: أتعرف أين السيدة رايس الآن، فإنني أريد أن أراها؟

- أظن أنها في قاعة الاستقبال.

كانت السيدة رايس في قاعة الاستقبال تتناول كوباً من الشاي، وقد بان عليها الاضطراب عندما رأتنا مقبلين عليها وابتدرتنا متسائلة: ما هذا الذي بلغني؟ أحقاً إن تاكي مريضة؟

- هذا صحيح. ولكن أريد أن أسألك يا سيدتي عما إذا كنت قد أرسلت إليها بالأمس صندوقاً من الشوكولاتة؟

- نعم، فقد كلفتني هي بذلك.

- أهي التي طلبت منك أن تشتري لها الشوكولاتة؟ ولكن كيف سُمح لك بمقابلتها مع أن الزيارات ممنوعة؟

- أنا لم أقابلها، ولكنها اتصلت بي تليفونياً.

- وفيمَ كان حديثكما؟

- لقد طلبت إليّ أن أبعث إليها بصندوق من الشوكولاتة، ولا شيء غير هذا.

- كيف كان صوتها وهي تتحدث إليك؟ أكان ضعيفاً؟

- لا، ولكن في البداية خفي عليّ صوتها فلم أتبين أنه صوتها إلا عندما ذكرت اسمها.

- وهل أنت متأكدة من أن صديقتك تاكي هي التي كانت تتحدث إليك؟

- نعم، ولكن ما معنى هذا؟ أتريد أن تقول إن امرأة أخرى انتحلت شخصيتها؟

قال بوارو: أيمكنك أن تقسمي يا سيدتي على أن الصوت الذي سمعته كان صوت صديقتك؟

فقالت السيدة رايس: الواقع إن صوتها كان متغيراً قليلاً، ولكني لم أعر الأمر التفاتاً وعزوته إلى مرضها. ولكن ما الذي ترمي إليه يا سيد بوارو، ما الذي حدث؟

فأجاب بوارو: إن صديقتك مريضة جداً يا سيدتي من الشوكولاتة لأنها كانت مسمومة.

- الشوكولاتة التي أرسلتها لها كانت مسمومة؟ هذا مستحيل.

- بل ذلك هو الواقع، وهي الآن على شفير الموت.

فرددت فريدي وقد شحب لونها: يا إلهي! هذا فظيع. ثم أردفت: ولكن لا بد أنها تناولت شوكولاتة أخرى، فلم يمس أحدٌ صندوقي إلاّ أنا وجيم لازاروس، لا شك أنك مخطئ يا سيدي.

- لا؛ لست مخطئاً، والأدهى من ذلك أن بطاقتي كانت داخل الصندوق.

واستدار بوارو منصرفاً دون أن يضيف كلمة أخرى وأمارات الغضب مرتسمة على وجهه. ثم قال لي: أنا في حيرة من أمري؛ إنني أتخبط في الظلام. من الذي يستفيد من موتها؟ أهي السيدة رايس التي دست لها السم في الشوكولاتة أم السيد لازاروس؟ وهل هي صادقة في ادعائها أن تاكي تحدثت إليها تليفونياً لتطلب منها صندوقاً من الشوكولاتة أم أن ذلك ادّعاء كاذب أرادت به أن تصرف الشبهات عن نفسها؟

فقلت أعزيه: إن الفجر يعقب الظلام دائماً.

- وصندوق الشوكولاتة الثاني الذي ورد بطريق البريد؛ من هو ذلك الشخص المجهول الذي أرسله؟

وهممت بأن أتكلم فقال لي مقاطعاً: دعك من الحِكَم

والأمثال فإنها لن ترفه عني ما أحسه من فشل. ثم أردف: أرجوك أن تدعني الآن وحدي يا هيستنغز، فإنني أريد أن أخلو إلى نفسي لكي أفكر.

وفي العاشرة مضيت إلى غرفته فوجدته جالساً في كرسي كبير وقد مدد ساقيه أمامه عندما ابتدرني بقوله: اذهب إلى فراشك يا هيستنغز ودعني أخلو إلى خواطري، فإن الظلام ما زال يكتنفني.

* * *

في الخامسة صباحاً وجدت بوارو واقفاً عند رأس فراشي يهزني لكي يوقظني، فلما فتحت عيني ابتدرني قائلاً: والآن أصبحت أحترم حكمك وأمثالك. نعم، إن الفجر يعقب الليل دائماً؛ لقد انجلت الظلمات وأشرق ذهني وعرفت طريقي إلى كشف غوامض هذا اللغز الخفي.

فقلت متسائلاً وأنا ما زلت أفرك عيني: إذن فقد عرفت القاتل؟ من يكون يا ترى؟

فأجاب دون أن يرد على السؤال الذي وجهته إليه: لقد ماتت الآنسة باكلي.

فهتفت مرتاعاً: ماذا تقول؟ الآنسة باكلي ماتت؟

- إنها على قيد الحياة، ولكنني سأذيع على الناس جميعاً أنها ماتت. مجرد رواية تمثيلية أعتقد أنها ستؤدي إلى جلاء كثير من الأمور الغامضة.

* * *

الفصل الثامن عشر

صحوت في صباح اليوم التالي وأنا مصاب بارتفاع شديد في درجة الحرارة، وأدركت من الأعراض التي ظهرت عليّ أنني مصاب بحمى الملاريا فلزمت الفراش منهوك القوى وشرعت في تناول أقراص الكيني لأخفف من شدة الحمى. وجاءني بوارو في العاشرة صباحاً يقص عليّ ما فعله خلال فترة استغراقي في النوم. لقد استطاع أن يقنع الدكتور جراهام وكبيرة الممرضات والمشرف على المصح بالموافقة على خطته، فقبلوا أن يذيعوا أن الآنسة باكلي قد قضت نحبها نتيجة للتسمم بالكوكايين. كما أقنع مدير الشرطة بأن يجاريه في هذا الزعم قائلاً لهم إن هذا الادعاء لن يستغرق أكثر من يوم واحد وإنه موقن من أن هذه التمثيلية الكاذبة ستؤدي إلى رفع الستار عن غوامض اللغز.

كان بوارو يتردد على غرفتي من فترة لأخرى ليطمئن على صحتي وليروي لي تفاصيل ما يفعل أثناء مغادرته، وقال لي ضمن ما قال: لقد قابلت السيدة رايس وأبلغتها أن صديقتها العزيزة الآنسة باكلي قد قضت نحبها متأثرة بالكوكايين. فسألتُ بصوت ضعيف من أثر حمى الملاريا: وكيف تلقت النبأ؟

- لقد امتلأت عيناها بالعبرات وأخذت تردد: تاكي ماتت؟

لا أستطيع أن أتصور هذا! تاكي المتفجرة بالمرح والحيوية أصبحت جثة هامدة! واستطرد بوارو قائلاً: وقد سألتني السيدة رايس عما إذا كنت متأكداً من أن السم الذي دُسّ في الشوكولاتة هو الكوكايين فما كان إلا أن أطلعتها على تقرير الطبيب الذي حلل الشوكولاتة، فهتفت في جزع: يا إلهي! لا أستطيع أن أفهم كيف حدث هذا.

فعدت أسأله: أكانت صادقة في حزنها على صديقتها أم كانت تتظاهر بالحزن؟

- بل كان حزنها أصيلاً لا شبهة فيه.

- إذن فأنت تستبعدها من دائرة الاتهام الآن؟

فقطب جبينه مفكراً وأجاب: لعلك على حق في هذا يا هيستنغز؛ لقد بدأت أعتقد أنها لا شأن لها بالجريمة التي نحن بصددها. لقد اتخذت القضية الآن اتجاهاً مغايراً لما سبق أن استقر في ذهني. الحل الأول هو أن السيدة رايس والسيد لازاروس أهديا إلى الآنسة باكلي صندوقاً من الشوكولاتة، فالجاني قد يكون واحداً منهما أو الاثنين مشتركين معاً. أما الحديث التليفوني الذي أجرته الآنسة باكلي مع السيدة رايس طالبة منها أن تشتري صندوقاً من الشوكولاتة فقد يكون مجرد ادعاء ملفق لنفي الشبهة. أما الحل الثاني فهو أن صندوق الشوكولاتة الذي وصل بالبريد هو الذي كان مسموماً، أما من يكون صاحبه فليست لديّ إجابة محددة عن هذا السؤال، ولكنه لا بد أن يكون واحداً من بين العشرة أسماء المشبوهة التي دونتها في قائمتي، وهو أيضاً الذي دبر الحديث التليفوني.

فتساءلت: وهل هناك افتراض آخر؟

- نعم، الحل الثالث هو أن صندوق السيدة رايس قد أُبدل بصندوق آخر مسموم، وبذلك يكون الحديث التليفوني صحيحاً وتكون السيدة رايس قد خُدعت واستُخدمت دون أن تدري أداة لإبعاد الشبهات عن الجاني الحقيقي. لقد وضع حارس البوابة صندوق الشوكولاتة على المنضدة الموجودة في الردهة وظل الصندوق هناك عشرين دقيقة، وقد مر في الردهة عشرات من الزائرين من أقارب المرضى وأصدقائهم، فلا شك أن أحدهم قد أخذ خلسة صندوق السيدة رايس ووضع مكانه الصندوق الممزوج بالسم.

- إذن فلديك ثلاثة حلول مختلفة، فأيها الصحيح؟

قال بوارو: لا أدري، فما زال الموقف معقداً.

ولا أدري إن كان بوارو قد استمر يتحدث إليّ أم كف عن الكلام، فقد غلبني النعاس لفرط الحمى التي كانت تنهش جسمي. ولكنه جاء يزورني في الساعة الخامسة بعد الظهر فقال لي ضاحكاً: لقد جمع صاحب الزهور ثروة اليوم، فقد عهد إليه العشرات أصدقاء الفقيدة المزعومة الآنسة باكلي لإعداد باقات الزهور لإرسالها بيت «الفقيدة».

قلت له: أنت تعرف أن الكابتن شالينجر متيم غراماً بالآنسة باكلي، فلماذا لا تطلعه على الحقيقة حتى لا يتمزق فؤاده حزناً؟

قال بوارو: ليس للعواطف محل في خطتي يا عزيزي هيستنغز.

- ولكن وقع الخبر عليه سيكون صدمة قاسية، فلِمَ لا تكاشفه بالحقيقة وتطلب منه أن يتكتم ما يعرف؟

- لو فعلت ذلك لكان محتملاً أن يفلت لسانه بما يكتم على غير وعي منه، وفضلاً عن ذلك فإنه سيبدو غير حزين على موت محبوبته وقد يفسد هذا خطتي. ثم أردف ضاحكاً: أتعرف ما سوف أفعله لأحكم مهزلتي التمثيلية؟ أنا نفسي سأتظاهر بالحزن وسأجلس وأمارات اليأس مرتسمة على وجهي، ولن أقرب الطعام بل سأكتفي قدحاً من الحساء، ولكني لا أكتمك بأنني سأتناول سراً في غرفتي علبة كاملة من البسكويت.

بدأت عيناي تنطبقان فقال لي بوارو: يحسن بك أن تتناول قرصاً من الكينين حتى تصبح غداً سليماً معافى لتشهد بنفسك التطورات الجديدة التي ستطرأ على القضية.

وإذ غرقت في النوم انسحب بوارو من الغرفة بهدوء فلم أره إلا في صباح اليوم التالي. كان جالساً بالقرب من فراشي وأمامه مجموعة من الخطابات التي وردت إليه في بريد الصباح وهو منهمك في فضها. وفضّ إحدى الرسائل الواردة باسمه فقرأها ثم دفع بها إليّ وهو يقول: أتحب أن تقرأ هذا الخطاب؟

كان الخطاب وارداً من السيدة جان باكلي والدة القتيلة ماغي، ابنة عم الآنسة تاكي. ذكرت في خطابها أنها بعد عودتها إلى بلدتها وجدت في انتظارها خطاباً كانت ابنتها ماغي قد كتبته إليها قبل مصرعها وقالت فيه: "لقد رأيت أن أبعث إليك بخطاب ابنتي، فقد ترى فيه شيئاً يكشف لك عن سر مصرعها". وكان هذا نص خطاب ماغي إلى أمها:

أمي العزيزة،

لقد وصلت بعد رحلة ممتعة مريحة. إن الجو بديع لطيف وتاكي في صحة جيدة، ولا تزال على عهدها مرحة ضاحكة وإن خيّل إليّ أنها تعاني شيئاً من القلق تحاول أن تخفيه. وقد سألتها عن السبب الذي دعاها إلى استدعائي تلغرافياً رغم أنها سبق وأن كتبت لي تدعوني للإقامة معها ورددت عليها بالموافقة، فلماذا عادت وأرسلت لي برقية؟ فأجابتني بأنها ستكشف لي السبب يوم الثلاثاء، أي بعد يومين. إن المدعوين الذين التقيت بهم حتى الآن هم السيد كروفت الأسترالي الجنسية وزوجته السيدة كروفت، والمسكينة مقعدة عاجزة عن المشي بسبب حادث وقع لها. كما التقيت بالسيدة رايس والسيد لازاروس صاحب محل التحف الشهير! سألقي خطابي هذا في صندوق البريد الخاص بالفندق لأنني لا أستطيع أن أذهب اليوم إلى القرية، وغداً سأبعث إليك بخطاب آخر سألقيه بنفسي في صندوق بريد القرية.

ابنتك المحبة: ماغي.

سألني بوارو بعد أن فرغت من قراءة الخطاب: ألم يكشف لك هذا الخطاب شيئاً جديداً؟

- ربما؛ لعل صندوق بريد الفندق الذي أشارت إليه ماغي هو نفسه الصندوق الذي أودع فيه السيد كروفت وصية الآنسة باكلي، ولعل شخصاً مجهولاً استولى على الوصية وأخفاها لغرض في نفسه.

قال بوارو: أحسنت يا هيستنغز، إن فكرتك وجيهة ولا

يستبعد أن يكون هذا هو ما حدث فعلاً.

في تلك اللحظة رن جرس التليفون فتناول بوارو السماعة وسمعته يقول ويردد: حقاً هذا الصباح، شكراً لك على أن بادرت بإخطاري.

ولم يغب عني ما بدا على وجه بوارو من أمارات الاهتمام والانفعال، فبادرت أسأل: من الذي تحدث إليك؟

- السيد شارل فيز المحامي، أراد أن يبلغني أنه قد تلقى بريد هذا الصباح وفيه الوصية التي كتبتها الآنسة باكلي، وهي مؤرخة في ٢٥ فبراير.

فقلت بدهشة: وصية الآنسة باكلي؟ هذا عجيب؛ كيف يتلقاها اليوم بعد انقضاء هذه الفترة الطويلة؟ أتراه يكذب وأن الوصية كانت في حوزته طوال الوقت ولكنه أنكر وجودها لديه ثم أظهرها اليوم لغرض في نفسه؟

فقال بوارو ضاحكاً: أرأيت أن مهزلتي التمثيلية قد آتت ثمارها؟ لقد كنت متأكداً من أن موت الآنسة باكلي المزعوم سيؤدي إلى تطورات جديدة.

فعدت أتساءل: وهل أوصت الآنسة باكلي في هذه الوصية بثروتها لصديقتها السيدة فريدي رايس؟

- لم يشر السيد فيز إلى هذا وإنما اكتفى بأن قال إن إيلين وزوجها هما اللذان شهدا على هذه الوصية.

وغرق بوارو برهة في خواطره ثم رفع رأسه قائلاً: لا أدري لِمَ يهوى الناس تحريف الأسماء وابتداع أسماء للتدليل، فاسم

فريدريكا رايس يمكن أن يحرف -على سبيل التدليل- إلى اسم «فريدي»، أما اسم مرجريت باكلي فله أسماء تدليل متعددة، مثل ماغي أو مارجو أو ماجدا أو بيجي، إلى غير ذلك.

فسألته: هل هذا أوان التفكير في أسماء التدليل يا عزيزي بوارو؟

فقال في اقتضاب: صدقت! صدقت! وأطبق عينيه وأمسك عن الحديث حتى حسبته قد استغرق في النوم، وفجأة هب واقفاً وهو يهتف: يا إلهي، ما أغباني! لقد كنت أعمى، نعم كنت أعمى، أما الآن فقد انبلج النور ووضحت الحقيقة. ثم انطلق وهو يقول: إنهم يطلقون عليه «بيت الرعب» ويردّدون أنه مسكون بالأشباح، فلماذا لا يكون الأمر كذلك؟ ثم أردف: الليلة سنعقد في بيت الرعب جلسة لاستحضار الأرواح وستظهر الأرواح وتكشف لنا الحقيقة هذا اللغز الذي حيرني طويلاً.

قلت في نبرة عتاب ولوم: بوارو! ما هذا الذي تقول؟ ما تخيلت أبداً أنك تؤمن بهذه الخزعبلات! إن استحضار الأرواح أكذوبة لا سند لها من الحقيقة.

فقال بوارو: سوف ترى يا عزيزي هيستنغز أن استحضار الأرواح حقيقة علمية مؤكدة، وأن الأرواح لا تكذب.

* * *

الفصل التاسع عشر

في تلك الليلة عقد في بيت الرعب اجتماع عجيب الشأن، وطوال ذلك النهار لم ألتق بهيركيول بوارو ولا مرة واحدة، فقد اختفى من الفندق فجأة دون أن أقع له على أثر. لكن قبل أن أذهب لتناول العشاء جاءتني منه مذكرة يدعوني فيها لمقابلته في بيت الرعب في التاسعة مساء.

وصلت إلى بيت الرعب في الموعد المقرر فألفيت القوم مجتمعين في قاعة الطعام وقد انتظموا حول المائدة. أخذت الجمع بنظرة على عجل فوجدت أن الحاضرين هم أولئك المشبوهون الذين ضمتهم القائمة التي أعدها بوارو (فيما عدا طبعاً المشبوه رقم عشرة، وهو الشخص المجهول الذي لا يزال بوارو يجهل شخصيته وإن آمن بوجوده). حتى السيدة كروفت كانت حاضرة هذا الاجتماع وقد جاءت إليه على مقعد ذي عجلات، وما إن رأتني حتى لوحت لي بيدها مبتسمة وهي تقول: إن هذه الليلة تعد في حياتي حدثاً عظيماً، فمنذ الحادث الذي أصابني وأنا مقعدة لا أبارح مسكني إلا نادراً ولا أكاد أجتمع بأحد من الناس، ولهذا فإنني شاكرة للسيد بوارو أن هيأ لي هذه الفرصة الطيبة فدعاني إلى هذا الاجتماع.

وغمغمت أعقّب على كلماتها ببعض عبارات المجاملة، ورأيت السيد شارل فيز واقفاً عند المدفأة وهو منهمك في حديث هامس مع بوارو وقد تجلت في سيماه أمارات الاهتمام. وكانت إيلين قد اتخذت لنفسها مقعداً بجوار باب القاعة، أما زوجها ويليام فكان جالساً في أحد الأركان وبجانبه ابنه الصغير الذي كان لا يفتأ يتململ في مقعده. أما باقي المدعوين إلى الاجتماع فكانوا جالسين حول مائدة الطعام، فهذه فريدريكا رايس في ثوب أسود أنيق وبجوارها لازاروس والكابتن جورج شالينجر، أما السيد كروفت فكان جالساً في مواجهتهم. وبعد لحظات فرغ بوارو من حديثه مع شارل فيز فاتخذ لنفسه مقعداً حول المائدة.

وترك فيز مكانه عند المدفأة وتقدم إلى صدر المائدة فتنحنح قليلاً يجلو بصوته ثم استهل الحديث قائلاً: لقد عقد هذا الاجتماع أيها السادة بناء على طلب السيد هيركيول بوارو لأننا إزاء جريمة متشابكة الأطراف، نرجو أن نميط اللثام عن غوامضها وأن نجلو ما يكتنفها من ظلام. لا شك أنكم أدركتم أنني أعني بهذه الجريمة الغامضة مقتل ابنة عمي الآنسة باكلي في المصح الذي كانت نازلة فيه متأثرة بسم دس لها عمداً، وليس من شأني طبعاً أن أتحدث عن هذه الجريمة فهذه هي مهمة الشرطة، ولكنني سأتناول في حديثي ناحية واحدة، وأعني بذلك الوصية التي تركتها الفقيدة. لقد وصلت هذه الوصية إلى يدي بطريقة شاذة غاية في الغرابة. إن هذه الوصية مؤرخة في شهر فبراير الماضي، ومع ذلك فإنني لم أتسلمها إلا هذا الصباح فقط، وقد وجدتها مكتوبة بخط ابنة عمي الآنسة باكلي ولكنها لم تصغ بالشكل القانوني التي تصاغ به الوصايا عادة، غير أن هذا لا يضعف من قيمتها القانونية ولا يؤثر على سلامتها أو يحول

دون سريانها.

وسكت شارل فيز برهة ثم فتح حقيبته وأخرج منها مظروفاً صغيراً فضه وأخرج منه ورقة مطوية نشرها وهو يقول: هذه أيها السادة وصية ابنة عمي الآنسة باكلي وسأتلوها عليكم. وران الصمت على الحاضرين وأرهفوا آذانهم مستمعين. كان هذا هو نص الوصية:

هذه الوثيقة هي آخر وصية صادرة مني: أنا الآنسة ماجدالا باكلي. لقد عينت ابن عمي السيد شارل فيز المحامي منفذاً لوصيتي، وأريد منه أولاً أن يدفع من أموالي جميع نفقات جنازتي، وما يتبقى منها، أي من جميع أملاكي العقارية والمنقولة والنقدية، فأوصي بها للسيدة ميلدريد كروفت اعترافاً بالجميل الذي أسدته إلى والدي السيد فيليب باكلي عندما كان في أستراليا، إذ أنني أشعر بأنني مدينة لها بالفضل طوال حياتي

التوقيع: ماجدالا باكلي.

واستطرد شارل فيز قائلاً: أما الشهود على الوصية فهم إيلين ويلسون وزوجها ويليام ويلسون.

* * *

ما فرغ فيز من تلاوة الوصية حتى استبد بي الذهول وأنكرت ما سمعت أذاني، وأعتقد أنني لم أكن الوحيد الذي أدهشته هذه الوصية. تكلمت السيدة كروفت بصوت هادئ النبرات قائلة: هذا صحيح، لقد جاء السيد فيليب باكلي إلى أستراليا في إحدى رحلاته وكان قد تورط في مشكلة ما، فلم

أتردد في أن أبادر إلى إنقاذه من ورطته. وقد يستفسر أحدكم أيها السادة عن مضمون هذه الورطة، ولكني لن أجيب على مثل هذا السؤال، فهذا سر أحتفظ به لنفسي ولن أبوح به لأحد في يوم من الأيام. ولا شك أن الآنسة باكلي علمت بالأمر من أبيها نفسه، فأنا لم أتحدث إليها في هذا الشأن لا تصريحاً ولا تلميحاً. وعندما حضرنا إلى إنجلترا رأيت أن أقيم في بيت الرعب، إذ إن أباها طالما حدثني عن هذا البيت، فأفردت لنا تاكي البيت الصغير في الحديقة للإقامة فيه، وقد حررت معنا عقد إيجار ولكنه كان عقداً شكلياً، إذ أبت أن تتقاضى منا إيجاراً اعترافاً منها بالخدمات التي أسديناها إلى أبيها، ولكنها كانت تتقاضى منا الإيجار علانية منعاً للتقولات ثم ترده إلينا سراً. لقد قلت لكم إنني لن أبوح بسر السيد فيليب باكلي ولن أكشف لمخلوق تفاصيل الورطة التي وقع فيها، ولكن إذا خطر لأحدكم أن يكذّبني فيما أقول فإن البرهان حاضر بين يدي.

ولأول مرة تكلم بوارو موجّهاً الحديث إلى شارل فيز. قال يسأله: هل ترتاب يا سيدي في قول السيدة كروفت أنها أدت بعض الخدمات للسيد فيليب باكلي؟

أجاب رجل القانون في تؤدة وبنبرة حازمة: ما الذي يدعوني إلى الارتياب في قولها؟ ثم إن الشيء الذي يعنيني كرجل قانون هو أن الوصية صحيحة الأركان وليس فيها عيب يشوبها.

فقال بوارو: إنك يا سيد فيز أقرب الأقرباء للفقيدة والوارث الشرعي الوحيد لها، فهل أفهم من كلامك هذا أنك لن تعترض على هذه الوصية؟ أنت تعرف أن ثروة الفقيدة تبلغ عدة ملايين بعد أن آلت إليها تركة خطيبها، فهل تسلم بالوصية؟

أجاب فيز باقتضاب: إذا كانت ابنة عمي الآنسة باكلي قد رأت أن توصي بثروتها للسيدة كروفت فيجب أن أحترم إرادتها وأن أعمل على تنفيذ مشيئتها بإخلاص.

قالت السيدة كروفت بنبرة مخلصة: إنك يا سيد فيز رجل شريف منصف، وأنا شاكرة لك هذا الموقف الكريم، ولذلك أحب أن أؤكد لك بأنني سأخصك بجزء من الثروة التي آلت إليّ اعترافاً مني بنبلك وشهامتك.

فدُهش شارل فيز قليلاً عند سماعه هذه الكلمات ولكنه لبث ساكتاً لا ينبس بحرف. وتكلم السيد كروفت قائلاً بفرح وابتهاج: هذه الوصية مفاجأة مذهلة لنا يا عزيزتي، لا شك أن روح الآنسة باكلي تطل علينا الآن من مثواها سعيدة بأن وريثها الوحيد لن يعترض على الوصية وهو سيحترم مشيئتها الأخيرة.

تكلم بوارو للمرة الثانية قائلاً: صدقت يا سيد كروفت، إن روح الآنسة باكلي حاضرة دون شك هذا الاجتماع راضية عما سمعت ورأت! ثم أردف يقول وهو يدور ببصره في أرجاء القاعة: لقد طرأت ببالي الآن فكرة بمناسبة ذكر الأرواح؛ إننا مجتمعون حول المائدة كما يفعلون عند استحضار الأرواح، فلماذا لا نحاول أن نستحضر روح الآنسة باكلي؟

فهتفت السيدة كروفت بنبرة استنكار: نستحضر الأرواح؟ يا لها من فضيحة!

قال بوارو: ولِمَ لا؟ إنها ستكون تجربة طريفة ومسلية. إن صديقي هيستنغز يملك شفافية روحية مسيطرة وهو وسيط قدير، فلنطلب منه أن يستحضر روح الآنسة باكلي. واستطرد يستحثني:

هيا يا عزيزي هيستنغز، أرجوك!

وقبلت دون تردد، إذ لا بد أن يكون لبوارو هدف من وراء ذلك، وقلت: لنطفئ الأنوار إذن!

وقام بوارو يطفئ الأنوار، ولم يكن الظلام حالكاً إذ كانت النوافذ مفتوحة يتسرب إليها شيء من ضوء النجوم. طلبت من الحاضرين الملتفين حول المائدة أن يبسطوا أيديهم فوقها وأن يلزموا السكون لا يتحركون ولا يتكلمون، وقام بوارو من مجلسه ومشى إلى ناحيتي على أطراف أصابعه ووقف بجانبي، وسمعته يقول: إنه في حالة استرخاء الآن، إن الروح لن تلبث أن تظهر.

وساد صمت عميق، وأطبقت عيني ومضيت أغمغم ببعض الكلمات المناسبة كما يفعلون في جلسات استحضار الأرواح. وفجأة رأيت باب القاعة يتحرك وينفتح قليلاً قليلاً، وسرى إلى الغرفة تيار هوائي خفيف صادر من البهو فالتفتت الرؤوس ناحية الباب، وظهر في فجوة الباب شبح في ثياب فضفاضة، وتقدم الشبح خطوة بعد خطوة، وحين سقط على وجهه ضوء النجوم عرفناه على الفور. إنه شبح الآنسة تاكي باكلي!

صرخت السيدة كروفت فزعاً فهمس زوجها بصوت مختنق مرتعد: "لا تخافي"! وارتد شارل فيز بمقعده إلى الوراء خوفاً، أما لازاروس فمال إلى الأمام يتأمل الشبح! وفي تلك اللحظة انطلقت من أحد أركان القاعة صرخة مدوية صادرة من إيلين التي صاحت: يا إلهي! إنها هي بعينها، الآنسة باكلي. هذا هو شبحها!

تكلمت فردريكا رايس بصوت متهدج وقالت: هل أنتِ حقيقة عزيزتي تاكي؟

أطلق الشبح ضحكة مرحة وأجاب: نعم، أنا تاكي يا فريدي، تاكي بشحمي ولحمي!

وأسرع بوارو يضيء أنوار الغرفة، وتحولت تاكي إلى السيدة كروفت قائلة بتهكّم: شكراً لك يا سيدة كروفت على الخدمات المزعومة التي أديتها لأبي عندما كان في أستراليا، ولكن أخشى أنك لن تستفيدي شيئاً من وصيتي.

قالت السيدة كروفت وهي تحاول عبثاً أن تبتسم: كان ذلك مجرد مزاح يا عزيزتي، إنني لم أكن أقصد شراً. ثم التفتت إلى زوجها قائلة: هيا يا عزيزي، عد بي إلى مسكني فإنني متعبة قليلاً.

ولكن قبل أن يخف السيد كروفت إلى زوجته ليدفع مقعدها ذا العجلات فُتح الباب للمرة الثانية ودخل منه المفتش جاب، وتبادل نظرة سريعة مع بوارو ثم توجه بالحديث إلى السيدة كروفت قائلاً: مرحى، مرحى، ها هي صديقتنا القديمة ميلي ميرتون! إذن فقد عدت مرة أخرى إلى ألاعيبك المعهودة؟

ثم تحول إلى الحاضرين قائلاً: اسمحوا لي أيها السادة أن أقدم لكم أبرع مزورة في إنجلترا، السيدة كروفت، أو بعبارة أدق السيدة ميلي ميرتون. لقد علمنا أنها أصيبت وهي في إيطاليا بحادث أثناء اصطدام القطار الذي تستقله وأنها قد جاءت إلى إنجلترا منتحلة اسماً جديداً حاملة جواز سفر مزوراً، إذ هي -كما قلت لكم- من أقدر المزورين وأبرعهم.

أسرعت تاكي تقول: لهذا حين بلغها أنني قد مت في المصح متأثرة بالسم الذي دُسّ لي تقدمت بوصية مزورة منسوبة إليّ لكي ترث تركتي، ولكني -لسوء حظها- ما زلت على قيد الحياة لأكتشف زيف الوصية التي عزتها إليّ. أما وصيتي الحقيقية فقد ذكرتُ فيها أنني أوصي بيت الرعب لابن عمي شارل فيز أما باقي ممتلكاتي فلصديقتي فريدريكا رايس.

هتفت فيريدي: إذن أنتِ لست شبحاً؟!

اتجهت تاكي إلى ناحية صديقتها العزيزة لتتعانقا، وفي تلك اللحظة وقع حدث عجيب. ومض بريق شديد عند باب الشرفة ودوّى صفير رصاصة ما لبث أن تلاها صفير رصاصة ثانية، وحدثت ضجة خارج القاعة صادرة من الحديقة، وفي نفس اللحظة بدأت نقط من الدم تنساب على ذراع فريدريكا رايس.

* * *

الفصل العشرون

أخذ الحادث المفاجئ الحاضرين على حين غرة حتى أنهم لم يفطنوا إلى حقيقة ما حدث. قفز بوارو إلى ناحية النافذة وفي أعقابه شالينجر، ثم رجعا بعد لحظات يحملان فيما بينهما جسم رجل غائب عن الوعي أرقداه على الأريكة، وكان الدم ينساب على ثيابه من جرح في صدره. وتقدمت فريدريكا من الأريكة ومالت فوقها تتأمل الوجه الملطخ بالدماء. ونظر بوارو إلى الدم الذي يلوث ذراعها وسألها: هل جرحت يا سيدتي؟

فهزت رأسها سلباً وأجابت: لا، مجرد خدش خفيف لا أهمية له، فإن الرصاصة مستني وهي تمر بجانبي.

فتح الغريب الراقد على الأريكة عينيه وغمغم: إذن فقد مستك الرصاصة؟ ثم أردف: آه فريدي! إنني لم أكن أنوي أبداً أن أؤذيك، لقد كنت دائماً عطوفة عليّ.

وجثت فريدريكا بجانب الأريكة وهمست تقول برقة: لا ترهق نفسك بالكلام يا عزيزي.

عاد الرجل الجريح يردد بصوت خافت: محال يا فريدي أن أسبب لك أذى. ثم مال صدره فوق صدره وتراخى ذراعه

وسكتت أنفاسه.

رفعت فريدريكا رايس عينيها إلى بوارو متسائلة، فردّ على العينين المتسائلتين: نعم، لقد مات يا سيدتي.

نهضت فريدريكا رايس واقفة والتفتت إلى الحاضرين فقالت بصوت هادئ النبرات: لقد كان هذا الرجل هو زوجي.

وغمغمتُ أهمس في أذن بوارو: هذا إذن هو المشبوه رقم عشرة، المشبوه الذي أشرت إليه في قائمتك.

أومأ بوارو برأسه قائلاً: نعم، هناك فعلاً مشبوه مجهول الشخصية، المشبوه رقم عشرة.

وحيرتني كلماته فلم أدر أكان يقرّني على رأيي أم أن له رأياً آخر مختلفاً.

واستطردت فريدريكا تقول: نعم، إنه زوجي! وتهاوت في إعياء على المقعد الذي حمله إليها لازاروس. تريثت فريدي برهة ثم تابعت الحديث قائلة: لقد كان زوجي المسكين فريسة للمخدرات، بل استطاع في يوم من الأيام أن يغريني بتناولها، وقد جاهدت جهاداً عنيفاً لكي أتخلص من إدمان المخدرات، وبلغ من رغبتي في الإقلاع عنها أنني هجرت زوجي وعشت بعيداً عنه. وحمداً لله أن كتب لي الشفاء أخيراً. كان زوجي خلال فترة هجري له لا يفتأ يسعى ورائي إلى كل مكان ويتعقب خطواتي، لكني كنت أهرب منه وأتحاشى الالتقاء به وهو دائب على الإلحاح بأن أعود إلى العيش معه. وقد بلغ من يأسه من عودتي إليه أن هددني بالقتل، بل إنه حاول فعلاً أن يقتلني، ولكنني أعرف أنه غير مسؤول عن أفعاله لأنه يفتقر إلى الاتزان

العقلي بسبب إدمانه المخدرات، ولا شك أنه هو الذي قتل ماغي، إذ اختلط عليه الأمر فحسبها أنا.

سحبت فريدي نفساً طويلاً وأردفت تقول: كان يجب أن أعترف بهذا من قبل، ولكن الأحداث العجيبة التي وقعت لصديقتي تاكي جعلتني أعتقد أن وراء ما حدث شخصاً آخر غير زوجي. ولكن حدث ذات يوم أن رأيت في غرفة السيد بوارو رقعة من الورق موضوعة فوق المنضدة، وقد عرفت فيها خط زوجي إذ كانت تلك الرقعة الممزقة جزءاً من رسالة كتبها إلي زوجي، فأدركت أن السيد بوارو قد وقع على أثر سوف يرشده إلى كشف النقاب عن هذه الأحداث وأنه لن يلبث أن يعتقل الجاني.

وندّت عن فريدريكا رايس آهة عميقة من صدرها ثم قالت بصوت متهدج: هذا هو كل ما لديّ أيها الأصدقاء.

* * *

الفصل الحادي والعشرون

أسرع لازاروس إلى جانب السيدة فريدريكا رايس وأخذ يدها بين كفيه وقال لها بصوت حنون رقيق: لا تبتئسي يا عزيزتي ولا تسلمي نفسك إلى الأحزان.

قالت فريدي تسأل بوارو بصوت ينطوي على الاهتمام: والآن ما الذي تنوي أن تفعله يا سيد بوارو؟

رمى بوارو ببصره إلى المفتش جاب وقال: لقد جئت إلى سان لو يا سيدتي لأقضي شطراً من عطلتي السنوية، وما تدخلت في هذه القضية إلا استجابة لرغبة صديقي القديم المفتش جاب، وأعتقد أن شرطة سان لو هي التي سوف تضطلع بالأمر كله وتتولاه.

فقالت السيدة رايس وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة: ولكني أعتقد أن السيد بوارو هو الذي يوجه شرطة سان لو ويرسم لها طريقها؟

فقال بوارو: ما هذا الذي تقولين يا سيدتي؟ أنا لست إلا مجرد مستشار.

تدخلت تاكي في الحديث قائلة: ألا يمكن يا سيد بوارو أن

نتحاشى إذاعة هذه الفضيحة؟ ألا تتكتم الأمر تفادياً للتشهير؟

فسألها: أهذا هو رأيك يا آنسة باكلي؟

- نعم، هذا هو رأيي، وأرجو أيضاً أن تضع في اعتبارك أنني الشخص المجني عليه الذي يعنيه الأمر وأنني من الآن فصاعداً لن أتعرض لأي اعتداء جديد.

فقال بوارو: أصبت، فلا أحد بعد اليوم يتمنى لك الموت، ولكن أرجوك ألا تنسي الضحية الأخرى.

- أنت تعني ابنة عمي ماغي، ولكن ما الذي يؤدي إليه التشهير بصديقتي فريدي ونشر حكاية زوجها في الصحف؟ هل سيعيد إلينا هذا التشهير ماغي؟ إن فريدي لا تستحق أن نعرضها لهذا الهوان. إننا نحن هنا الذين عرفنا أن زوج فريدي هو الذي قتل ماغي، فلنكتم إذن ما عرفناه ولنترك شرطة سان لو توالي البحث عن القاتل، وأغلب ظني أنهم لن يهتدوا إليه.

قال بوارو: إذن فهذا قرارك النهائي يا آنسة، أن ندفن الخبر ولا نفصح بكلمة عنه؟

- تماماً، هذا هو رأيي.

تحوّل بوارو إلى الحاضرين وقال: ما رأيكم أيها السادة؟ هل نتكتم على الأمر أم ندلي إلى شرطة سان لو بكل ما عرفنا من تفاصيل. أرجو من كل واحد منكم أن يجيب على هذا السؤال بدوره، ما رأيك يا هيستنغز؟

قلت: انا موافق على اقتراح الآنسة باكلي. وقال لازاروس: إنني منضم إلى رأي السيد هيستنغز. وقال الكابتن شالينجر: هذا

في اعتقادي أفضل الآراء. وأردفت السيدة كروفت: إنني أرى أن ننسى كل ما حدث هذا المساء في هذه القاعة. أما المفتش جاب فقد قال: أنا معارض لهذا الرأي.

فانبرت السيدة كروفت قائلة في لهجة توسل: كن لطيفاً متسامحاً أيها الضابط.

أشار بوارو إلى إيلين لكي تبدي رأيها فقالت: أنا وزوجي نقسم بألا نتفوه بكلمة عما حدث هنا الليلة.

وتحول إلى السيد شارل فيز: ما رأيك في هذا؟

- ليس من حقنا أن نكتم أمراً يمس العدالة.

- فهتفت به تاكي مؤنبة: شارل!

- معذرة، ولكنني أتكلم من الناحية القانونية البحتة.

أطلق بوارو ضحكة عالية وقال: إذن فأنتم السبعة ضد واحد، وأنا في عطلة لا يحتسب صوتي والمفتش جاب على الحياد. وتريث بوارو برهة ثم استطرد يقول: نعم، سبعة ضد واحد، ولكن صوت السيد فيز هو الذي يمثل النظام والقانون. إنك رجل شريف يا سيد فيز. ومضى بوارو يقول: وأنا أيضاً رجل شريف مثلك، فنحن الآن اثنان فقط، أقلية مهزومة، ولكن لن أكتم الحقائق بل يجب أن أبلغ الشرطة بكل ما عرفت.

هتفت تاكي تلومه: سيد بوارو!

- اسمعي يا آنسة، لقد عهدت إليّ بأن أضطلع ببحث هذا الموضوع، وقد قبلت، فليس من حقك أن تطالبيني بالصمت.

والآن أرجوكم أن تجلسوا جميعاً فسوف أكشف لكم النقاب عن «الحقيقة» كلها.

واستوى جالساً من كان واقفاً، وساد الصمت وراحوا جميعاً ينصتون. دار بوارو ببصره في وجوه الحاضرين ثم قال: عندما اضطلعت بهذه المهمة أعددت قائمة بأسماء كل من لهم علاقة بمصرع ماغي، مباشرة كانت أو غير مباشرة. وقد رقمت هذه الأسماء بأرقام متسلسلة، وكان آخر اسم فيها هو رقم عشرة، وكتبت أمامه «شخص مجهول». وأمسك بوارو عن الحديث برهة ثم قال: ولكن بالأمس فقط أدركت أنني كنت مخطئاً، إذ كان يجب أن أضيف إلى قائمتي مشبوهاً جديداً هو رقم ١١.

فقال شارل فيز متسائلاً: شخص مجهول آخر؟

- يمكنك أن تقول هذا، وإن لم يعد المشبوه رقم ١١ مجهولاً لديّ. فإنني أعرفه حق المعرفة، وقد انكشفت لي شخصيته.

وأومأ بوارو إلى المفتش جاب الذي قال: لقد دعاني السيد بوارو إلى أن أحضر هذا الاجتماع خفية، فأدخلني إلى البيت سراً دون أن يشعر بي أحد، وإليكم ما شهدته بعيني رأسي. واستطرد جاب قائلاً: حين اجتمعتم أنتم هنا أخفاني السيد بوارو في إحدى الغرف، وبينما أنا منزو في مخبأي دخلت إحدى النساء فاتجهت إلى المدفأة فأخرجت منها مسدساً صغيراً، ثم غادرت الحجرة. ولم أحاول أن أتعقبها ولكني واربت الباب قليلاً وتطلعت من فجوته، فرأيت الزائرة المجهولة تضع المسدس في جيب معطف

معلق بالبهو عرفت على الفور أنه معطف السيدة رايس.

ارتفع صوت الآنسة تاكي باكلي صارخاً: كلا، كلا. هذا لم يحدث، هذا كذب!

أشار بوارو إلى الفتاة قائلاً: هذه الفتاة هي المشبوه رقم ١١ الذي نسيت في البداية أن أضيفه إلى قائمة المشبوهين... إنها هي التي قتلت ابنة عمها ماغي باكلي!

صرخت فيه تاكي من جديد: هل جننت؟ ما الذي يدعوني إلى قتل ماغي؟

أجاب بوارو: لكي ترثي الثروة الضخمة التي ورثتها عن مايكل سيتون. لقد أوصى الطيار سيتون بثروته للآنسة ماجدالا باكلي، أي لماغي. لقد كان اسمها ماجدالا باكلي كما أن اسمك أنت هو ماجدالا باكلي كذلك.

حاولت تاكي أن تعترض ولكن صوتها تهدج انفعالاً واختنقت الكلمات على شفتيها.

قال المفتش وهو يتقدم منها: إنني أقبض عليك يا آنسة تاكي بتهمة قتل ابنة عمك ماغي.

وتأبط المفتش ذراعها وخرج بها من الغرفة، كما جاء بعض رجاله واعتقلوا السيد والسيدة كروفت أيضاً.

* * *

الفصل الثاني والعشرون

قال بوارو يخاطبنا: والآن تريدون مني أن أزيدكم شرحاً وإيضاحاً وأن أبين لكم كيف استطعت أن أميط اللثام عن هذا اللغز الذي حيرني طويلاً؟ وأمسك برهة عن الحديث ثم استطرد يقول: يجب أن أعترف أولاً بأن الآنسة باكلي قد استطاعت أن تخدعني وتضللني، ولغبائي صدقت أكاذيبها وابتلعتها واعتقدت أنها كانت حقاً هدفاً لهذه الاعتداءات التي روتها لي.

ونظر بوارو إلى فريدي وقال: لقد حذرتني من أكاذيبها ووصفتها بأنها مولعة بالكذب، ولكنني لم آخذ بتحذيرك.

قالت فريدي: الواقع أن تاكي تعمد إلى الكذب في كل ما تقول، حتى ولو لم يكن ثمة سبب يدعوها إلى أن تكذب.

استطرد بوارو: نعم، لقد لفقت كل هذه المزاعم عن الاعتداءات التي تعرضت لها مع أنها في الحقيقة لم تتعرض لأي اعتداء. إن تاكي شديدة الاعتزاز ببيت الرعب، ولكن البيت مثقل بالرهن وقد يبيعه البنك في أية لحظة رغماً عنها، فكيف تحتفظ بهذا البيت الذي تحبه وهي لا ثروة لها؟ تريث بوارو برهة ثم مضى يقول: لقد شاءت الصدفة أن تلتقي بالطيار

مايكل سيتون أثناء رحلتها في توكيه، وكانت تعلم أن مايكل هو الوريث الوحيد للمليونير السير ماثوي سيتون فقررت أن ترمي بشباكها حوله حتى يتزوجها، ولكن مايكل لسوء الحظ كان يرى فيها صديقة لطيفة مسلية ولا يعتبرها زوجة صالحة. وقد دعاها مايكل إلى مقابلته في إسكاربارو حيث نزلت ضيفة عليه في يخته، وهنا وقعت الكارثة، فقد عرّفته تاكي بابنة عمها ماغي فوقع في غرامها ولم يعد يحفل بتاكي. ولم تتردد ماغي في أن تصارح تاكي بأن مايكل أحبها وأنه خطبها، وأنه قد أبقى الخطوبة سراً حتى لا يغضب عمه السير ماثوي. بل إن ماغي كانت تطلعها على الخطابات التي يرسلها إليها خطيبها مايكل، ومن هنا عرفت تاكي بأمر الوصية وبأنه قد أوصى لماغي بكل ما يملك.

وحدث بعد ذلك أن مات السير ماثوي سيتون فجأة فانتقلت ملايينه إلى مايكل، ولم تمض أيام حتى اختفت أنباء الطيار مايكل أثناء عبوره الأطلسي، فتحركت نوازع الشر في قلب تاكي ومضت تفكر في طريقة تستولي بها على ثروة مايكل. لقد عرفت أن مايكل أوصى بثروته لخطيبته ماغي، والاسم الرسمي لتاكي هو ماجدالا باكلي كما أن الاسم الرسمي لماغي هو أيضاً ماجدالا باكلي، فلماذا لا تستفيد تاكي من هذا التشابه في الأسماء؟ إذا هي قتلت ماغي فإن ثروة مايكل ستنتقل إليها عند ثبوت موته باعتبارها ماجدالا باكلي التي أوصى لها بثروتها. وكان لا بد لها أن تعمل بسرعة إذ كان الوقت ضيقاً، فدعت ابنة عمها ماغي إلى زيارتها وقضاء بضعة أيام لديها حتى يتسنى لها أن تقتلها قبل أن يتأكد على وجه اليقين أن مايكل قد لقي حتفه أثناء عبوره الأطلسي، ولكن كان لا بد لها قبل ذلك

أن تمهد لجريمتها، فلفقت حكاية الاعتداءات التي تعرضت لها كوقوع الصورة فوق وسادة نومها والصخرة التي كادت تسحقها والعبث بفرامل السيارة وغير ذلك من الأحدث، وكان هدفها من ذلك أن تقتل ماغي ثم تدّعي أن القاتل كان يقصدها هي لا ابنة عمها، وأن ماغي إنما قُتلت بطريق الخطأ.

وحين روت لي أنباء هذه الاعتداءات أشرت عليها بأن تدعو إحدى قريباتها لتقيم معها، فرحبت بالفكرة وقالت إنها ستدعو ابنة عمها ماغي، لكنها في الواقع كانت قد دعتها فعلاً للحضور قبل أن أتحدث إليها بالأمر. وأثناء العشاء انسحبت تاكي في موعد نشرة الأخبار فدخلت إلى البيت واستمعت إلى الإذاعة وعرفت أن مايكل سيتون قد مات، فقررت أن تضرب ضربتها في الحال وأن تزيح ماغي عن الطريق على الفور. وحين بدأ حفل الألعاب النارية مضت إلى البيت لتأتي بالمعاطف وصحبت معها ابنة عمها ماغي، وأخفت معطف ماغي وأعطتها شالها الأحمر لتتدثر به حتى إذا قُتلت ادّعت أن القاتل كان يقصدها هي لا ماغي وأن الأمر اختلط عليه فحسبها تاكي وذلك بسبب شالها الأحمر الذي تدثرت به ماغي، وهكذا تعقبتها عند خروجها من البيت فأطلقت عليها الرصاص ثم عادت إلى المنزل وأخفت المسدس في المخبأ السري المجاور للمدفأة.

قالت فريدي معقبة: يا له من تدبير محكم! ولكن ما هي حكاية الشوكولاتة المسممة؟

- تدبير آخر غاية في الدهاء. لقد أرادت أن تثبت أن القاتل الخفي الذي قتل ابنة عمها لا يزال يتعقبها باعتداءاته، فدبرت حكاية الشوكولاتة المسممة، فطلبت إلى صديقتها فريدي أن

تشتري لها صندوقاً من الشوكولاتة ثم نزعت بطاقتي المثبتة في باقة الورد ووضعتها في الصندوق، وبعد ذلك دست السم في ثلاث قطع من الشوكولاتة وتناولت واحدة منها فقط لأنها تعلم أن كمية السم في القطعة الواحدة لا تؤدي إلى الموت وإنما ستصيبها بالمرض فحسب.

قالت فريدي: ولكن لماذا وضعَت المسدس في جيب معطفي؟

- إنك تعتقدين يا سيدة رايس أن تاكي تحبك وأنها صديقتك المخلصة، ولكن الواقع غير ذلك، لهذا وضعت المسدس في جيبك حتى تأخذك الشبهات وتحاكمين بتهمة قتل ماغي، وبذلك تتخلص منك.

فتساءلت فريدي: ولكن لماذا؟ لماذا تكرهني؟

- لأنها تحب صديقك لازاروس في حين أن لازاروس متيم بك أنت.

والتفت إلى لازاروس قائلاً: تكلم يا سيد لازاروس، ألم يكن الأمر كذلك؟

أجاب لازاروس: في الواقع صارحتني أنها تحبني ولكني أفهمتها بجلاء أنني أحب فريدي وأننا قد اتفقنا على الزواج.

سألته فريدي: لكن لماذا إذن أوصت لي بثروتها ما دامت تكرهني؟

أجاب بوارو: لقد حررت وصيتها لصالحك يا سيدتي قبل لقائها بلازاروس، وكانت إذ ذاك مخلصة لك طبعاً. لقد كان

السيد كروفت هو الذي أقنعها بكتابة وصيتها عندما همت بإجراء عملية الزائدة الدودية، ولكنه لم يودع الوصية صندوق البريد ولم يرسلها إلى شارل فيز المحامي، حتى إذا ماتت تاكي أثناء العملية قام السيد كروفت بتزوير الوصية لصالح زوجته والاستيلاء على ثروة الفتاة والادعاء بأن تاكي قد أوصت لزوجته بثروتها اعترافاً منها بجميلها وبخدمتها المزعومة التي أدتها لأبيها أثناء وجوده في أستراليا. لقد حيرني أمر اختفاء الوصية التي حررتها تاكي وأخذني الظن في السيد كروفت وراودتني فيه الشكوك، فاختلست بصمة إصبعه وأرسلتها إلى إدارة الشرطة فجاءني الرد بأن كروفت وزوجته من أشهر المزورين، وتبينت من هذا بالتفكير المنطقي هدفه من إخفاء الوصية فأذعت أن الآنسة تاكي باكلي قد ماتت في المصح متأثرة بالسم. وكان غرضي من هذا أن أحمل كروفت وزوجته على إبراز الوصية ما دامت محررتها قد ماتت، وكان هذا هو ما حدث فعلاً. ثم ظهرت تاكي فجأة فتبين على الفور أن الوصية مزورة، وهو ما توقعته من قبل.

سأله لازاروس: الشيء الذي أريد أن أعرفه هو كيف استطعت أن تصل إلى إماطة اللثام عن هذا اللغز. أعني: كيف استطعت أن تكتشف الحقيقة؟

أجاب بوارو: الواقع أنني لم أكتشف الحقيقة إلاّ في وقت متأخر، وهذا ما يخجلني؛ فقد استطاعت هذه الفتاة أن تخدعني وأن تجعلني أؤمن بأكاذيبها. ولكن حدث أن ارتكبت تاكي غلطة جسيمة فبدأت أرتاب فيها وساورتني الشكوك في أمرها، فعندما طلبت منها أن تدعو صديقة لها للإقامة معها قالت إنها ستدعو ابنة عمها ماغي وإنها ستبعث إليها ببرقية تستدعيها، وفعلاً

أرسلت البرقية، ولكن الواقع أنها كانت قد استدعت ماغي فعلاً قبل حديثي معها بخطاب بعثت به إليها. فلماذا أخفت موضوع الخطاب؟ هنا بدأت أشك فيها، وكانت هذه هي الغلطة التي كشفت سرّها.

- لكن كيف عرفت بالخطاب الذي أرسلته تاكي لماغي؟

قال بوارو: لأن ماغي كتبت في هذا الشأن خطاباً إلى أمها قالت فيه ما معناه إن تاكي سبق وأن كتبت إليها تدعوها للإقامة معها وأنها قد ردت عليها بالموافقة، فلماذا عادت وأرسلت إليها ببرقية تدعوها للإقامة معها؟ لماذا كررت الدعوة ببرقية؟ هذا هو ما سطرته ماغي إلى أمها، وقد أطلعتني الأم على الخطاب فأثار الأمر ريبتي وبدأت أبحث الموضوع من زاوية أخرى، قلت لنفسي: أيجوز أن يكون لتاكي ولماجدالا اسم واحد مشترك؟ وبدأت أتحرى فعرفت أن الفتاتين تحملان اسماً واحداً هو ماجدالا باكلي. وعدت أتساءل: أليس من المحتمل أن يكون الطيار سيتون متيماً بماغي، وليس بتاكي؟ وعثرت في غرفة تاكي على الرسائل الغرامية التي كتبها سيتون إلى حبيبته ولكنني عجزت عن أن أتبين فيها رداً على سؤالي، فقد استهلها كلها بكلمات عامة ولم يحدد فيها اسم محبوبته، إذ كان يكفي بأن يقول مثلاً حبيبتي أو عزيزتي دون ذكر الاسم. غير أنني لاحظت شيئاً عجيباً؛ كانت تاكي تحتفظ بخطابات خطيبها في درجها معقودة بشريط أخضر، والمفروض فيمن يفعل هذا أن يكون حريصاً على الخطابات كلها لا على بعضها، ولكني فطنت إلى أنه لم يكن لدى تاكي إلا خطابات محدودة قليلة وأن بعض الرسائل كانت غير موجودة، وعرفت هذا من تواريخ الرسائل

فقد كانت بينها فترات طويلة، ولهذا قلت لنفسي: إذن فهذه هي الرسائل المسروقة. كان التفسير الوحيد المنطقي أن تاكي قد سرقت من ماجدالا بعض الرسائل واحتفظت بها لديها، حتى إذا تخلصت من ماجدالا وقتلتها ادّعت بأن هذه الرسائل كانت موجهة إليها وأنها خطيبة الطيار سيتون وأنها وريثته المقصودة بالوصية التي كتبها.

لقد دخلت تاكي إلى المستشفى يوم ٢٧ فبراير الماضي لتستأصل الزائدة الدودية، وكان بين الرسائل المسروقة المحفوظة لديها خطاب من سيتون مؤرخ في ٢ مارس، أي أنه كتبه بعد إجراء الجراحة بأيام معدودة، فالمفروض في هذه الحالة أن ينصب كلامه كله على العملية الجراحية وأن يتمنى الشفاء لخطيبته، ولكنه في رسالته تلك لم يشر بكلمة واحدة إلى الجراحة، فلماذا؟ السبب واضح وهو أن التي أجريت لها العملية الجراحية كانت تاكي وليست ماغي، وأن هذا الخطاب كان موجهاً إلى ماغي وليس إلى تاكي. إذن فهذه الرسائل كانت مسروقة من ماغي وتاكي هي التي سرقتها. وكان هذا هو مفتاح اللغز الذي انكشف به كل شيء.

هتف لازاروس: الحق يا سيد بوارو أنك عبقري ولا نظير لك في العالم.

فضحك وقال متفاخراً: لقد اعترفت لي الدنيا كلها بالعبقرية منذ أمد طويل.

* * *

(تمت)